الأمة وقائدها المنتظر

محمد محمد الحيدري

مركز الدراسات التخصصية
في الإمام المهدي (ع)
رقم الكتاب ١/٤/٦٤

الأمة وقائدها المنتظر

دراسة تحليلية عن الامام المهدي (عج)
ودور الامة في غيبته.

محمّد محمّد الحيدري

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعـــة الثانية

بغداد — ٢٠٠٣

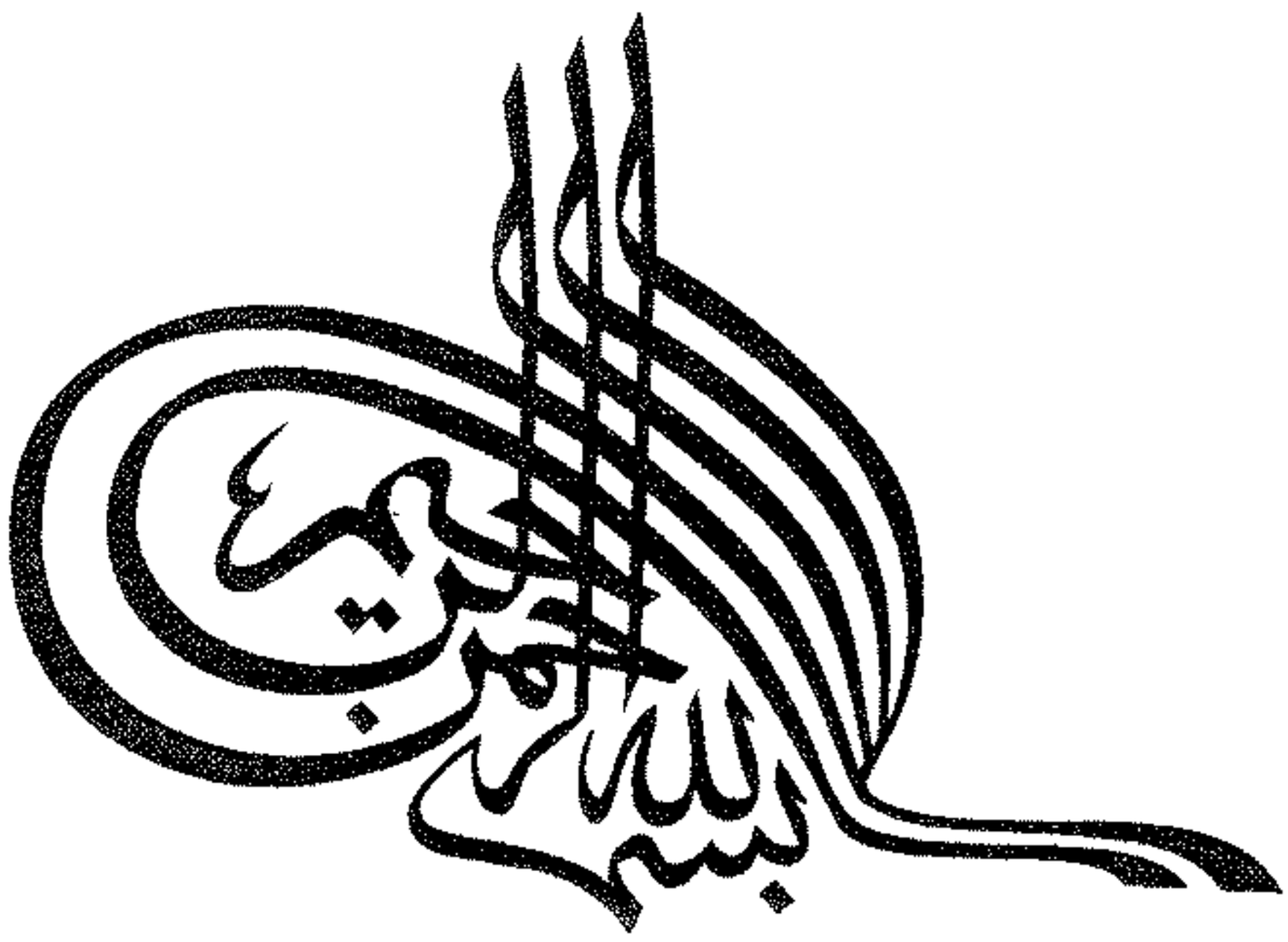
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

- الى الذي تتطلع اليه البشرية،
- الى محطم الطواغيت والأصنام البشرية،
- الى مجسد حكم الله في الأرض،
- الى الإمام القائد،
- الى صاحب العصر والزمـــان، الحـــجة،
- محمد بن الحسن، عجل الله تعالى فرجه،

أهدي مجهودي المتواضع

المدخل

إن الحديث عن الإمام المهدي ـ عليه السّلام ـ ليس حديثاً تاريخياً، وان كان له صلة وعلاقة بالتاريخ، الا انه حديث عن المستقبل ـ المستقبل المشرق الذي تتطلع اليه البشرية جمعاء ـ وحتميّة انتصار الحق في نهاية المطاف مهما تمادى الباطل في غيّه.

وهذه الحتميّة ـ انتصار الحق على الباطل ـ ليست متمثلة عند المسلمين فحسب، وانما هي شعور عند الانسانية ينعكس بين فترة وأخرى،

فالماركسيّة تؤمن وتصرح بأن البشرية في سيرها هذا سوف تمر بمراحل الى ان تصل الى مرحلة السعادة القصوى: مرحلة لا ظلم فيها ولا تسلط، وان الشعب هو يسير نفسه بنفسه، لا طبقات... لا اعتداءات... لا تناقضات... هذه السعادة سوف تسود الارض كلها.

ويستفاد من بعض كلمات الفلاسفة الغربيين امثال كانت[1]: ان البشرية سوف تصل الى مرحلة من المراحل في نهاية مطافها، الى مجتمع بشري سعيد لا ظلم فيه ولا فساد يسوده العدل.

واليهوديّة والمسيحية، تؤمنان بظهور رجل مصلح في آخر الزمان، يصلح ما فسد في الارض ويطهّرها من الباطل والظلم.

ومن الملاحظ ان الانسان عندما بدأ بتكوين علاقات اجتماعية على الارض، بدأ يفكر ويحاول ان يوجد او يتمسك بنظام يجمع شمل الناس ليحقق سعادته فيه واهدافه.

وكلما يمر الزمن، يتوسع مفهوم النظام وتتوسع تطبيقاته. كل ذلك سعياً وراء السعادة، سعياً وراء نظام يحقق ذلك الطموح والتطلع.

وكانت البشرية تشعر بأن هذه الأنظمة الموجودة غير قابلة لتحقيق السعادة والعدل.

---

١) نقد العقل العلمي، ص٥.

فبدأت تطرح في الساحة البشـــرية أنظمـــة وعقـــائد مظـــهرها الشـــمول والاستيعاب، بعض اثبت فشله قبل تطبيقه، والبعض الآخر فشل بعد تطبيقه.

جاء عصر النهضة العلمية الحديثة، وتطلع الناس الى العلم واعتبروه هـو المنقذ لهم، وهو الذي سيحقق لهم حلمهم الذي يسعون لتحقيقه...

ورفعت بعض الأنظمة شعارات العلم وطابعه واندفعت البشـــرية ورائـــها لأنها علمية !

وسارت خلفها سيراً عشوائياً وسادت الحضارات الشامخة، فهل تحققـــت السعادة ؟

هل ان البشرية حقّقت آمالها وأهدافها ؟

كلا !

انها اصطدمت بواقع فاسد تعيش فيه، تحت تلك الأنظمة العلمية !

لأن العلم ليس باستطاعته وحده، ان يحقق سعادتها وأهدافها، فالعلم آلـــة بيد الانسان اذا استعمله في الخير كان خيرا واذا استعمله في الشر كان شرا:

فهو سلاح ذو حدين، اذا كان بيد من فقد إنسانيته فيكون ســـلاحاً فتاكـــاً، قاتلاً، ظالماً، قاهراً. واما اذا كان العلم بيد من يشعر بإنســـانيته فســـيكون خـــيراً للناس آلة للبناء والتعمير، آلة للإصلاح والتقدم.

اذن فالقضية ليست قضية العلم وشعاراته، وانما هي قضية الحفاظ علـــى إنسانية الانسان، فالعلم وحده لا يحقق للبشرية أهدافها وما تصبوا اليه، بل لابـــد من رادع ضابط ينبع من إنسانيته... وهذا مفقود.

وتم طرح النظرية الشيوعية ذو النظرة الشمولية لحل قضايـــا البشـــرية والأخذ بيدها نحو السعادة والسمو ولكنها تحولت الى أنظمة دكتاتورية ممـــا ادى الى انهيارها وسقوط نظريتها في نهاية القرن الماضي.

وأنكشف اخيراً انّ الشعارات التي طرحت في الساحة البشرية، شـــعارات للكسب ليست الاّ لتخدير البشريةّ.

فبدأ اليأس بين الأمم والشعوب، مما أدى الى خروج مجاميع من النـــاس في معظم الدول المتقدمة علمياً وحضارياً، والتمرد علـــى الواقـــع، وعلـــى كـــل القوانين والاعراف، تخلّصاً من المشاكل التي تعانيها تلـــك الشـــعوب، كمـــا فـــي حركات الهيبيز تصوراً منهم أنهم نجوا منها ولكنهم وقعوا في غيرها!

وهذا تعيش البشرية في دوامة وصراع، فهي تطبق النظام تلو النظام، بعد فشل الاول!

تفرّ من وضع الى آخر لليأس من صلاحية الأول وهكذا... كل ذلـــك وراء سعادتها... وراء أهدافها...

ولكن أين الطريق؟

الواضح من خلال المسيرة البشرية، ان الانسان أثبت عجزه في تحقيـــق سعادته وفشله، في معالجة قضاياه الحياتية، خصوصاً الاجتماعية منها. بل كلمـــا سار الزمن، كشف الانسان تعاسته تحت الانظمة الوضعية. وكلمـــا مـــر الزمـــن يكشف تفنن الظالمين في اساليب ظلمهم... وهكذا!

وهذا يأكد ضرورة التدخل الرباني لإنقاذ البشرية من مسيرتها التائهـــة، بعد ان هجر كتاب الله ورسالته، لإنقاذها من مسيرتها الدوامة والتي أنهكتها مـــن تطبيقات الأنظمة الوضعية الفاشلة.

والتدخل الرباني، سيســـعف البشـــرية ويوصلـــها الـــى شـــاطئ الســـلام والسعادة... نحو تحقيق إنسانية الإنسان... نحو توحيد الإنسانية جمعـــاء تحـــت رسالة التوحيد، لا تقف بينها الحواجز، جغرافية كـــانت أم قوميـــة أم لغويـــة أم عنصرية.

من هنا أنطلقت فكرة الإمام المهدي (ع)... الامام القائد المدّخـــر لإنقـــاذ البشرية كلّها في كل بقاع العالم، ليحقق حكم الله فيها، الـــذي تســـوده الســـعادة المنشودة للبشريّة والتي عانت وضحّت طوال مسيرتها للوصول اليـــها: فتعيـــش البشرية في سلام دائم لا يشوبه ادنى كدر في دولة العدل... دولة السعادة... دولة التوحيد الكبرى.

التخطيط الرباني لفكرة الإمام المهدي

الإسلام نظام شامل لجميع نواحي الحياة، فهو لم يترك ناحية الاّ وأعطى رأيه فيها، ولم يترك جانباً من جوانب الحياة الاّ وحدد موقفه منه، فنظم علاقة الانسان بخالق الكون وخالقه وحدّدها وأعطى أبعادها، ونظم علاقة الإنسان بالإنسان، ونظم علاقة الإنسان بالمجتمع.

فالإسلام له نظام اجتماعي ونظام سياسي ونظام اقتصادي. وحرصت السماء على تطبيق الاسلام في جميع نواحي الحيا

.ة، وأن يكون الإسلام هو الحاكم، وعلقت بعض الواجبات على فرض ان يكون الدين هو المهيمن والحاكم في المجتمع، وشدد الاسلام على حكام الجور والظلم والتعامل معهم، بل جعل حكم الحاكم بغير الاسلام كفراً.

﴿ وَمَنْ لَّم يَحكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأولئكَ هُمُ الْكافِرون ﴾[1].

فالاسلام جاء ليسود الارض... كلّ الارض.

﴿ وَمَا أَرسَلْنَاكَ إلاّ كافـةً للناس ﴾[2].

وليجعل البشر مسلمين مهتدين بهدى الاسلام.

﴿ هُوَ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدى وَدِينِ الحَقّ لِيُظْهِـرَهُ عَلَى الدّين كُلّـهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُون ﴾[3].

فكانت التجربة الاولى للحكم الاسلامي بالمدينة المنورة على يد الرسول الاعظم (ص) وكانت التجربة رائدة ومثلى، حيث ساد العدل الجزيرة العربية وشعر الناس بالمساواة دون تمييز.

ولكن هذه التجربة انحرفت بعد وفاة الرسول القائد (ص) إنحرافاً جزئياً، وبدأ هذا الانحراف يتعمق ويترسخ حتى تسلم الامويون الحكم، فكان الانحراف في قمّته، عدا تجربة الامام علي (ع)، فإنها كانت تمثل الاسلام.

وهذا، لا يعني ان الله تعالى لم يولي اهتماماً لما بعد النبي (ص) ومن سيخلف صاحب الرسالة؟ ومن هي القيادة الحاكمة؟.

---

١) سورة المائدة، الآية: ٤٤.
٢) سورة سبأ، الآية: ٢٨.
٣) سورة التوبة، الآية: ٣٣.

بل انه تعالى عيّن خليفة للنّبي (ص) وجعل الإيمان به من أصول الإيمـــان بالإسلام، وهذا ما تمثل على يد صاحب الرسالة حينما نزل قوله تعالى:

﴿ وأنذِرْ عَشيرَتَكَ الْأقرَبين ﴾[٤]

في بداية الدعوة الاسلامية حيث جمع النبـــي (ص) عشـيرته و تحـدّث اليهم، ثم قال (ص) مشيراً الى علي بن ابي طالب (ع):

" هذا اخي ووزيري وخليفتي من بعدي "

وهذا التأكيد من رسول الله (ص) على تعيين الخليفة من بعده فـــي بـدء الدعوة، لم يكن من قبله (ص) شخصياً، بل هذا تعيين من الله تعالى، لما لرســول الله (ص) من صلاحية مطلقة في التحدث عن الله تعالى:

﴿ وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى * إنْ هُوَ إلاّ وَحيٌ يُوحَى ﴾[٥]

و توالت التأكيدات و البيانات من الرسول الاعظم (ص) على تعيين القيادة طول حياته[٦] الى ان ختمها حين اقتربت نهاية حياته (ص) فأراد ان يسجل تعيين الخليفة على القرطاس وعدم الاكتفاء بالتصريحات، ولكن القوم تنـــازعوا، وهـو على فراش الموت، كما ذكر البخاري:

"عن ابن عباس ، قال: لما حضر النبي (ص) وفي البيت رجال فيهم عمـر بن الخطاب، قال: هلمَّ أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده، قال عمر: ان النبـــي غلبـه الوجع وعندكم كتاب الله فحسبنا كتاب الله. واختلف اهل البيـت ـ اهـل الـدار ـ وأختصموا، فمنهم من يقول ما قال عمر، فلمّا أكثروا اللغـط والاختـلاف، قـال (ص): قوموا عنّي ولا ينبغي عندي التنازع"[٧].

---

٤) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

٥) سورة النجم، الآية: ٣ـ٤.

٦) أبرزها واقعة الغدير عندما عاد النبي (ص) و المسلمون من بعد أداء فريضة الحـج، وقف الرسول القائد بين جموع المسلمين آخذا بيد علي (ع) فقال:((من كنت مـولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه...)) ثم امر بنصب خيمة وامـر المسلمين بمبايعة امير المؤمنين. راجع كتاب الغدير (ج١) للاميني.

٧) مقدمة مرآة العقول ـ ج١ ـ السيد مرتضى العسكري. ص٢٧.

اذن، الاسلام اهتم في تعيين القيادة الاسلامية وانها معينة مـــن قبـــل الله سبحانه، لأن ذلك يترتب على تطبيق الاسلام واستمرار الدولة الاسلامية المجيـــدة التي أسّسها رسول الله (ص)، اي ان الله تعالى عندما أنزل الاحكـــام والقوانيـــن الاسلامية لأجل تطبيقها والالتزام بها كلياً، وهذا يكون واضحاً ايضاً مـــن خـــلال تشريعات الاسلام، فإن كل من يطلع اليها يتيقن ضرورة ذلك.

من هنا منطلق فكرة الامام المهدي (ع) ليملأ الارض قسطاً وعدلاً بعدمـــا مُلئت ظلماً وجوراً،

فان العدل والسعادة لا تحقق الاّ بالاسلام، وأن الحق لا يتمثل الاّ بالاسلام، و المساواة لا تسود الاّ بالاسلام...

وهذا ما سيتحقق على يد الامام المهدي (ع) حين ظهوره...

فقضية الامام قضيّة الاسلام... قضية كل مؤمن... بل هو مستقبل الاسلام المشرق.

ولهذا كان التخطيط الالهي لهذه القضية ضمن التخطيط العـــام للاســـلام. و التخطيط الرباني لها، يتمثل في تخطيط المعصوم[٨] (ع).

تخطيط المعصوم للقضية

ان قضية الإمام المهدي (ع) قضية مستقبلية، تتعلق بشكل مباشر بالأجيـــال التي تعاصر تجسيد قضية الإمام وعلى يدها تتحقق هذه الفكـــرة، وهـــي تطبيـــق الإسلام على كل الأرض.

وهذه الأجيال بعيدة كل البعد عن عصر التشـــريع ــ عصـــر النبـــي (ص) و الائمة (ع) ــ ولهذا كان عملهم (ع) اتجاه الفكرة والقضية على مستويين:

الأول: تثبيت الفكرة.

الثاني: شرح الفكرة.

---

٨) المعصوم يشمل النبي (ص) والائمة (ع).

المستوى الأول
تثبيت الفكرة

لما كانت قضية الإمام المهدي (ع) قضية مستقبلية، وأن الإمام القائد المنفذ لهذه الفكرة بعدُ لم يولد، والجيل الايماني الذي يمارس عملية التغيير الجذري للمجتمع الانساني، مولده بعد قرون عديدة، وأن الجيل المؤمن، لابد له من الايمان الكامل والراسخ بهذه القضية، بحيث يكون منسجماً مع حجم الدولة ومهماتها، ولكي يكون الاداة المنفذة للامام القائد...

كل هذا وغيره، جعل الفكرة تحتاج الى الثبات والاستمرار، بحيث تصل الى ذلك الجيل المؤمن، بالرغم من تعرضها الى محاولات الطمس والتحريف، وخاصة أن هذه القضية، لم تكن فعلية وعملية بالنسبة للاجيال التي عاصرت رسول الله (ص) والائمة الاطهار (ع) وانما هي افكار تبقى في الذهن، فتحتاج الى ضمان بقائها بشكل من الاشكال، بحيث تبقى الخطوط العريضة للقضية واضحة فيما اذا تعرضت الى تحريف وطمس.

ان الاسلام تعرض بعد وفاة رسول الله (ص) الى محاولات تشويه وتحريف لبعض المفاهيم وطمس البعض الآخر منها، من قبل المعادين للاسلام والذين وترهم الاسلام، فدخلوا فيه خوفاً وأعلنوا إسلامهم وأضمروا الكفر.

والذين تسلموا بعض المناصب القيادية، بل انهم تسلموا زمام السلطة بعد استشهاد امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) جندوا أنفسهم وأعوانهم على تشويه معالم الدين، وخصوصاً ما يتعارض مع حكمهم، فدسّوا الروايات الكاذبة لتثبيت مركزهم وتصحيح سياستهم وأعمالهم، على يد الوضّاعين، كأمثال كعب

الاحبار اليهودي وابي هريرة[1] وسمرة بن جندب وتميم الداري الراهب النصراني والذي سمح له عثمان ومعاوية بالتحدث في مسجد رسول الله (ص) ساعتين كل يومين [2].

وحاول الامويون طمس بعض معالم الدين، وخاصة ما ورد عن النبي (ص) في بيان منزلة علي بن ابي طالب (ع) وانه الممثل الحقيقي للاسلام وانه القيّم على الرسالة بعد النبي (ص) والقائد للامّة بعده.

فان معاوية بن ابي سفيان ارسل الى الولاة كتاباً: " ان برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل ابي تراب وأهل بيته" [3]. وكتب الى ولاته ايضاً: "ان أنظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته، والذين يروون فضائله و مناقبه، فادنوا مجالسهم وقربوهم واكرموهم... " وكتب كذلك:"... فأذا جائكم كتابي هذا، فادعوا الناس الى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الاولين، ولا تتركوا خبرا يرويه أحد من المسلمين في ابي تراب، الاّ وأتوني بمناقض له في الصحابة مفتعلة، فأن هذا أحبّ اليّ وأقرب لعيني وأدحض لحجة ابي تراب وشيعته..."[4]

هذا مع ان الخليفة الثاني منع كتابة الحديث، واحرق كل ما كتبه الصحابة من الحديث، واستمر المنع الى زمن عمر بن عبد العزيز الذي رفعه.[5]

---

١) راجع كتاب شيخ المضيرة ابو هريرة الدوسي: محمود ابورية.
٢) مقدمة مرآة العقول ج١: السيد مرتضى العسكري، ص ٣٥.
٣) نفس المصدر ص ٣٤.
٤) مقدمة مرآة العقول، ج١: السيد مرتضى العسكري، ص ٤٠
٥) المصدر السابق ص٢٩

حشد من الطاقات لمنع الروايات الواردة من النبـــي (ص) فيمـا يتعلـق بالقادة الحقيقيين وبيان مقامهم من الاسلام. الى جانب ذلك، وضع أحاديث مفتعلـة كثيرة جداً، لتشويه الرسالة وقادتها...

هذا ما تعرض اليه الاسلام، بعد وفاة صاحب الرسالة، فأنـه (ص) كـان يعلم بهذا الانحراف الذي حصل، والى هذه المحاولات التحريفية من قبـل أعـداء الإسلام، كما يظهر من بعض الروايات... ولهذا كان (ص) يحشـد مـن طاقاتـه، لاستمرارية وبقاء فكرة الامام المهدي (ع) لتمرّ بسلام من دون طمس وتحريف.

ان فكرة الامام المهدي (ع) سوف تستهدف من قبل اعداء الاسلام، كمـا كانت كذلك، لأنها تتعارض مع حكم الامويين والعباسيين، فأن حكمهم كـان قائمـاً على الظلم والانحراف، فكانت عمليات القتل للمؤمنين والمستضعفين والمعـارضين لحكمهم جارية على قدم وساق، وخاصة لاصحاب الائمة (ع).

والامة كانت تعتبرهم حكام ظلم وجور، وانهم لا يمثلون الاسـلام. وهـذا الانكشاف تم بوضوح، بعد ثورة الامام الحسين (ع) حيث كسر الطوق الذي كـان يلف حكمهم بأنهم خلفاء رسول الله .

والحكام المنحرفون، كانوا يعلمون ذلك بأنهم لا يمثلون الاسـلام. بـل ان بعضهم كان يصرح به في بعض الاحيان، فان معاوية بن ابي سفيان حينما تم لـه الحكم، قال في خطاب له: " إني ما قاتلتكم على ان تصلّوا وتصوموا وإنما لأتـأمّر عليكم" فأن سعيه للحكم ليس لأقامة الدين ونشره والحرص عليه، وأنما لأشـباع غرائزه و حب السيطرة والتأمر على الناس !

إذن وجود فكرة الإمام المهدي (ع) في جسم الامة والإيمان بها ، معنـاه الرفض القاطع لكل ظلم وجور. وتطلع الى مستقبل يسوده العدل وتغمره السعاده .

ومن الواضح ان الحكام المنحرفين ـ كالامويين والعباسيين ـ يقلقون من وجـــود مثل هذا الشعور عند الامة، وخاصة العباســـيين الذيـــن أســـتغلوا فكـــرة الامـــام المهدي(ع) للقضاء على الامويين وتثبيت حكمهم، كما فعل محمـــد بـــن عبـــد الله المنصور العباسي الملقّب بالمهدي، حيث أوهم بعض النـــاس انـــه هـــو المـــهدي المبشَّر به .

بل لا يبعد أن الزيادة الواردة في الرواية عن النبي (ص) أنه قال: "لو لـــم يبق من الدنيا الاّ يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلاً مني (او من اهـــل بيتي) يواطي اسمه اسمي و اسم ابيه اسم ابي، يملا الارض قسطا وعـــدلا، كمـــا ملئت ظلما وجوراً ". فالزيادة " اسم ابيه اسم ابي " لا يبعد انـــهم وضعـــوا هـــذه الزيادة لتنطبق عليه، فأن هذه الرواية وردت عن النبي (ص) بطرق كثيرة و ليـس فيها هذه الزيادة.[٦]

اذن وجود فكرة الامام المهدي (ع) في ذهنية الامة، يتعارض مع الحكـــام الغاصبين، وتكون مصدر قلق و ارباك لـــهم ، فكـــانت المحـــاولات التطميســـية والتحريفية من قبلهم قائمة على قدم وساق.

لكن جهود النبي (ص) الجبارة، وجهود خلفائه الائمة الاطـــهار ـ عليـــهم السلام ـ من بعده، أدّت الى بقاء الفكرة وثباتها ونموّها في جسم الامة.

الجانب الكمي

بدأ الرسول القائد (ص) بتثبيت الفكرة، وإعطاء تفاصيل عـــن القضيـــة، وعن وقوعها والظروف و الملابسات التي تمرّ بها، وحال المؤمنيـــن فـــي ذلـــك

---

٦) راجع المهدي المنتظر:امير محمد القزويني، ص٣١.

الزمان، والظروف الموضوعية لظهور الإمام، و مواصفات أصحاب الإمام القـــائد ومواصفات القائد... إلى إعطاء الصورة الإجمالية لدولة الإمام المرتقبة.

كما أن الائمة (ع) من بعد الرسول القائد، ساروا على نفس منهاج رسول الله (ص) فكانت تصدر عنهم الروايات والتصريحات حول قضية الإمام وبيان مـــا أجمله النبي (ص)، وتأكيد على ما يمكن ان يتعرض للتحريف والطمس، وخاصـــة في تعيين القائد المنتظر و أنه من ولد فاطمة، وأنه الامام الثاني عشر... التاســـع من ولد الحسين... أنه ابن الحسن العسكري (ع).

و حثَ أصحابهم على كتابة الاحاديث و الروايات، فقد روى ابـــو بصـــير قال:سمعت ابا عبد الله (ع) يقول: " أكتبوا فأنكم لا تحفظون حتى تكتبوا "[٧].

وكان الائمة (ع) يحثـّون أصحابهم حين روايـــة الحديـــث. ان يســـندوا الحديث الى الذي حدثهم به لكي لا يضيع الحديث ويكون مرســـلاً غـــير مســـند، ليعرف الراوى هل هو من الثقاة او من غيرهم، فقد روي سسعن أبـــي عبـــد الله (ع) انه قال:

" قال أمير المؤمنين (ع) اذا حدثتم بحديث فأسندوه الى الذي حدثكـــم...

وكانوا (ع) ايضاً قد درَبوا اصحابهم على عرض الروايات التي ســـمعوها، فقد روي عن علي بن ابراهيم، عن ابيه، عن ابن الفضـــال، وعـــن محمـــد بـــن عيسى، عن يونس، جميعاً قالوا :

---

٧) وسائل الشيعة ج١٨: الحر العاملي، ص٥٦.
٨) وسائل الشيعة ج١٨ ص٥٦.

"عرضنا كتاب الفرائض عن امير المؤمنين (ع) على ابي الحسن الرضـــا (ع) فقال هو صحيح" [٩].

بل أنهم كانوا يوجهون أصحابهم الى طلب الحديث وتعلمه من غـــيرهم و عرضه عليهم، كما جاء عن محمد الرافعي قال:

" كان لي ابن عم وكان زاهداً فقال له ابو الحسن (ع) اذهب فتفقه واطلـب الحديث. قال: عمن؟ قال: عن فقهاء اهل المدينة، ثم اعرض عليَ الحديث" [١٠].

كل هذه الجهود وغيرها جعلت الروايات الواصلة إلينا حول دولة التوحيـد الكبرى و قائدها، عن رسول الله (ص) وعن الائمة (ع) " أكثر مـــن ســتة آلاف رواية" [١١].

وهذا لا يعني ان كل الروايات صحيحة السند وانها صـــادرة مـــن النبـــي (ص) والائمة الاطهار (ع)، وأنما فيها الصحيح وغيره ولكن هذه الكثرة الكـــاثرة من الروايات، يحصل معها اليقين بوجود الفكرة ووجود القائد المنتظر ولا يمكـــن ان يرقى اليها الشك مع مثل هذا العدد الضخم من الروايات والتي لا يوجد مثيـــل له في كثير من بديهيات الاسلام.

وهذا العدد الكبير من البيانات والتصريحات من المعصوميـــن، أدّى إلـــى رسوخ الفكرة في جسم الأمة الإسلامية ككل ّ، وأنها لا تنفك عنها ما دامت الأمـــة موجودة.

---

٩) نفس المصدر ص٥٧.
١٠) نفس المصدر ص٦٠.
١١) بحث حول المهدي: السيد محمد باقر الصدر. ص٦٤.

وحينما أدّعى كثير من الاشخاص (المهدوية) على مـــرّ التـــاريخ، كـــان موقف الامة من هذه الدعاوى أنكار الصغرى، اي انكار ان المدعي هو المـــــهدي المنتظر، والتسليم بالكبرى، اي بأصل الفكرة، ولم تنكرها الامة.

هذا كله من ناحية الكم والعدد الصـــادر مـــن الرســـول القـــائد وخلفائـــه المعصومين، بحيث تم ثبات الفكرة ووقوفها امام التحريف والطمس.

الجانب النوعي

وأتبع المعصومون (ع) جانباً آخر لتثبيت فكرة الإمام المهدي فـــي جســـم الأمة، إضافة الى الجانب الكمي: هو الجانب النوعي حيث تميّزت أحاديثـــــهم (ع) بتنوع مما يجعل رسوخها على الاقل في افراد الامة الواعين.

ومن خلال ملاحظة الروايات الصادرة منهم (ع) يمكن استخلاص طـائفتين من الاحاديث، بحيث تساهم بشكل مباشر في عملية تثبيت الفكرة.

الاولى: ربط الفكرة بالايمان.

الثانية : ربط الفكرة بتطلعات المسلم وطموحاته.

١) ربط الفكرة بالإيمان

هذه الطائفة من الاحاديث، تربط فكرة الامام والايمان بالقائد. تربط ذلـــــك بايمان المسلم. بمعنى انّ الايمان لا يكون كاملاً، الاّ اذا كان يتضمن الايمان بفكـرة الامام المهدي (ع) وأن الامام المهدي، سيملأ الارض قسطاً وعدلاً، كمـــا ملئـــت ظلماً وجوراً .

توضيح ذلك: إن هذه الطائفة عينت القائد المنقذ بأنه احد الائمـــة الاثنـــى عشر المنصوبين من قبل الله تعالى خلفاء بعد النبي (ص)، فقد روى عن النبـــي (ص) أنه قال:

الائمة بعدي أثني عشر، أولهم انت يا علي، وآخرهم القائم الذي يفتـــح الله عز وجل على يديه مشارق الارض ومغاربها [١٢].

ان هذه الرواية وغيرها، شخصت الامام المـــهدي وعينته انـــه آخـــر الخلفاء والائمة بعد النبي (ص)، وروايات اخرى تبين ان الامام القائد هو التاسـع من ولد الحسين... وبعضها انه من ولد الصادق... وبعضـــها أنـــه ابـــن الامـــام العسكري [١٣].

فانها تثبت أن قائد المسيرة البشرية، هو آخر الأئمة الاثني عشر. وانـــهم ائمة معصومون ومنصوبون من قبل الله تعالى، لأن تعيين النبي (ص) لهم، تعيين من الله، جلّ وعلا.

ولا اشكال ان الروايات الواردة من النبي (ص) في ان الائمة والخلفاء من بعده اثني عشر، بلغت حد التواتر، بحيث يحصل القطع بها، اضافة الى ان هنـــاك بعض الروايات ــ كحديث الثقلين والغديـــر ــ حـــاصل فيـــهم التواتـــر والقطـــع بصدورها من النبي (ص)، بل ان القرآن صرح في يوم تنصيب الامام علـــى (ع) خليفة بعد النبي في حديث الغدير:

من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه...

صرح باكمال الدين بهذا العمل واتمام النعمة.

---

١٢) منتخب الاثر: لطف الله الصافي، ص٥٨.
١٣) راجع الغيبة للسيد صدر الدين الصدر، ص٥٨-٦٨.

﴿ اليوم أكملتُ لكم دينَكم وأتممتُ عليكُم نعمتي ورضيتُ لكم الاسلامَ ديناً ﴾.

فان هذه الآية تدل على أن الدين يكون ناقصاً بدون الولاية لعلي بن أبـــى طالب (ع)[١٤].

فأن هذه الروايات تعضد تلك الروايات التي تعيّن الامام المهدي، بأنه آخـر الائمة المنصوبين من الله تعالى.

اذن الايمان بالنبي، وأنه رسول الله تعـــالى، يســتتبع الايمـــان بالأئمـــة الأطهار، وكما دلّ عليه الحديث أيضاً الوارد عن رسول الله (ص) حيث قال:

" الائمة بعدي أثني عشر أولهم علي بن ابي طـــالب وآخرهـــم القـــائم... خلفائي وأوصيائي وأوليائي وحجج الله على أمتي بعدي... المقـــر بـــهم مؤمـــن والمنكر لهم كافر" [١٥].

فان هذا الترابط بين الايمان بالنبي (ص) والايمان بهم، أمر واضح حتـــى لو لم تنطق به الروايات.

فأن رسول الله (ص) الذي جاء بتشريع كامل يعالج فيه جوانـــب الحيـــاة الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والإدارية والسياسية، وحكم على وفـــق هـــذه الشريعة وضحّى بما يملك في سبيل تحقيق حكم الله ونشر مفاهيمه، مثل هذا مـــن البعيد جداً أن يترك هذا الحاكم ــ رسول الله (ص) ــ مسألة خلافته،

فأن كل تضحياته وتضحيات اصحابه والجهود التي بذلت، ســـوف تكـــون معرضة للخطر.

---

١٤) راجع الغدير للأميني، ج١.
١٥) منتخب الاثر: لطف الله الصافي. ص٥٠١.

بل ان تعيين خليفة من بعده، مسألة بديهية وواضحة بالنسبة الى عقلية وذهنية النبي (ص) فضلاً عن كونه مرسلاً من قبل الله تعالى. و لهذا الخليفة الاول ألتفت الى هذه النقطة، فأوصى بالخلافة الى عمر بن الخطاب، خوفاً من أن تذهب الى من لا يرغب فيهم.

فهل من المعقول ان الخليفة الاول كان ملتفتا الى تعيين خليفة من بعده. والنبي (ص) كان غافلاً عنها؟!

اذن الايمان بالنبوة وبالنبي (ص) يستتبع الايمان بالائمة الاثني عشر. وأنهم خلفاؤه. ولهذا جعل علماء الشريعة في علم الكلام الايمان بالامامة. فرع الايمان بالنبوة.

هذا ترابط بين الايمان، والايمان بالائمة الاثني عشر ككل، ولكن توجد روايات تؤكد بالخصوص على الايمان بالامام المهدي وربطه بالايمان بالنبي (ص)، منها ما روى عن رسول الله (ص):

" من أنكر القائم من ولدي فقد أنكرني " [١٦]

و تأكيد على الايمان بالامام القائد في زمان غيبته كما روي عن النبي (ص):

" من أنكر القائم من ولدي في زمان غيبته، مات ميتة جاهلية " [١٧].

وغيرها من الروايات الصادرة من النبي (ص) والائمة الاطهار، التي تؤكد على ان الايمان بالامام المهدي، مرهون بالايمان بالنبي، بل ان كثيراً من

---

[١٥] منتخب الاثر: لطف الله الصافي، ص٤٩٢.
[١٦] نفس المصدر والصفحة.

الروايات صرحت: انّ الايمان بالائمة الاطهار، ومنهم الامام القائم، من دعائم الاسلام، كما روى:

" عن ابي جعفر (ع) قال: بني الاسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية. ولم يناد بشئ كما نودي بالولاية "[١٨].

فان هذا الترابط الايماني بين الايمان بالنبي (ص) والايمان بالقائم يجعل من المؤمنين الواعين من الامة اضافة الى غيرهم، مؤمنين بالقائم، وأنه هو المفدى وهو المنفذ لعملية التغيير الثورية والجذرية والشاملة، فان عدم الايمان به يكون نقصا للايمان بل انكاره انكار للنبي (ص).

هذا كله، يجعل ثبات الفكرة واستقرارها في جسم الامة ما دام في الامة مؤمنون ايماناً كاملا عبر الاجيال، مهما تعرضت اليه هذه الفكرة من محاولات تشويهية وتطميسية، وأن هذه الفكرة تتعمق كلما تعمق الايمان.

بل توجد روايات عن النبي (ص) مثل:

" من مات ولم يعرف امام زمانه، مات ميتة جاهلية "[١٩].

فهذه الرواية وأمثالها تجعل من المسلم في كل عصر، ان يفتش عن امام ذلك العصر، ليتعرف عليه وعلى حقّه وماذا يريد منه و... وإلا مات ميتة جاهلية.

اذن فكرة تحرير الارض كلها، وأقامة حكم الله ودولة التوحيد الكبرى، مرتبطة ربطاً وثيقاً بالايمان بالاسلام.

---

١٨) راجع الكافي، ج٢ للكليني، ص١٨-٢٤.
١٩) في انتظار الامام: عبد الهادي الفضلي، ص٥١.

وما دام الايمان يسري في جسم الامة، فأن هـذه الفكـرة باقيـة وحيـة وثابتة، بل متنامية مع تنامي الايمان.

٢) ربط الفكرة بتطلعات المسلم وطموحاته

ان لكل إنسان طموحات وتطلعات، نحو ما يحمل من أفكار وما يعتقد بـها، فهو يطمح ويتطلع الى تطبيق الفكرة التي يحملها مهما كانت هذه الفكرة، او أنـه يتطلع الى تحقيق السعادة والعيش بسلام، ولهذا فهو يتشبث ولو ببصيص لتحقيق طموحاته.

ونحن نلاحظ عبر التاريخ، ان الشعوب تندفع مع كل من يثور على الحاكم الظالم، او الحكم الذي تعتبره ظالماً وغير صالح. فالثورات على الحكام الفاسـدين كثيرة ومستمرة، بل ان الحاكم الظالم يصور حكمه حكماً عادلاً ونظامـه أفضـل الانظمة، ليس الاّ لأن الناس تتطلع دائماً نحو الأحسن والأكمل، نحو تحقيق العـدل والسعادة.

فأن هذه التطلعات والطموحات، اذا لم توجه بشكل صحيح، فانها سـوف تنحرف وتوجه الى غير الحق وتستغل، كما نلاحظ كثيراً من الجماعات المتنافسـة كل منها يدعي الحق وتحقيق العدل والسعادة المنشودة، ليخدع النـاس ويسـتغل هذه الطاقة الموجودة عندهم.

والإسلام وجّه هذه التطلعات والطموحات نحو هدفها الصحيـح، فربطـت الروايات الصادرة من النبي (ص) والائمة (ع) تطلعات المسلمين و طموحاتـهم، بفكرة الإمام المهدي ودولة التوحيد الكبرى. فكان مفاد الروايات: انه يوجد قـائد

معصوم سوف يقود البشرية الى حكم الله تعـــالى فـــي الارض، ويسـود العـدل والرخاء والسعادة .

فبعض الروايات تصرح أنه لا يبقى أحد الاّ وآمن بالامام القائد ولا يبقـــى بيت الاّ ودخله الاسلام[٢٠] واخرى تقول أنه في كل بقعة وأرض الاّ ونـودي فيـها شهادة أن لا اله الاّ الله وأن محمدا رسول الله[٢١]. والبعض الاخـــر تثبـت حالـة الرخاء التي ترافق دولة الامام، فـــأن بركـة السـماء ترافقـه والارض تخـرج بركاتها[٢٢] وقسم آخر يصور العدل والسعادة في ظل تلك الدولة وأنه لا يظلم أحـد أحداً، ويوضع ميزان العدل بين الناس[٢٣].

فان مثل هذه الروايات من المعصومين (ع) توجه التطلعات والطموحـات والطاقات، نحو قضية الامام، وتجعل من المؤمنين منشدّين ومرتبطيـن بـالفكرة دائماً ومتطلعين لظهور الامام (ع) ومستعدين ان يكونوا جنوداً أمناء لـه (ع) وأن يضحوا بالغالي والنفيس بين يديه، كما جاء في بعض الروايات، فقد ورد:

" عن عبد الحميد الواسطي عن ابي جعفر (ع) قال: رحم الله عبداً حبـس نفسه علينا، رحم الله عبداً احيى أمرنا، قال فقلت فان متّ قبـل أن ادرك القـائم؟ فقال: القائل منكم: (ان أدركت القائم من آل محمد نصرته) كالمقارع معه بسـيفه، و الشهيد معه له شهادتان " [٢٤] .

---

٢٠) منتخب الاثر: لطف الله الصافي، ص٤٣٥.
٢١) المصدر السابق ص٢٩٣.
٢٢) المصدر السابق ص١٨٣.
٢٣) المصدر السابق ص٢٢٠.
٢٤) منتخب الاثر ص٤٩٥.

فأن هذه الرواية تصرح ان الذي يستعد ان يكون جنديا من جنود الامـــام، وان لم يدرك الامام، يكون هذا كالذي ينصره فعلاً، وبعبارة اخـــرى، ان الروايـــة تريد ان توجه الطموحات و التطلعات نحو قضية الامام المهدي(ع).

" ان فكرة المهدي أقدم من الاسلام، فأن معالمها التفصيلية التـــي حددهـــا الاسلام، جاءت أكثر اشباعا لكل الطموحات التي أنشدت الى هذه الفكرة، منذ فجـــر التاريخ الديني، و أغنى عطاءاً وأقوى اثارة لأحاسيس المظلومين والمعذبين علـــى مر التاريخ، و ذلك لأن الاسلام حوّل الفكرة من غيب الى واقع، و من مســـــتقبل الى حاضر، و من تطلع الى منقذ تتمخض عنـــه الدنيـــا فـــي المســـتقبل البعيـــد المجهول، الى الايمان بوجود المنقذ فعلا، و تطلعه مـــع المتطلعيـــن الـــى اليـــوم الموعود، واكتمال كل الظروف التي تسمح له بممارسة دوره العظيم "[٢٥].

فكانت الأمة تتطلع دائما لظهور الامام القائد، و كان كثير من الناس الذين لم يعرفوا الامام القائد بالذات كانوا يأتون الامـــام و يســـألونه هـــل هـــو الامـــام المنتظر، لينهضوا معه كما جاءت في بعض الروايات.

فقد: " روي عن عبد العظيم الحسني، قال: قلت لمحمد بـــن علـــي بـــن موسى ــ عليهم السلام ــ: اني لأرجوا ان تكون القائم من أهل بيت محمّد، الـــذي يملأ الارض قسطا و عدلا كما ملئت جورا و ظلما. فقال: يا أبا القاسم! ما منـــا الاّ و هو قائم بأمر الله عزّ وجلّ، و هاد الى دين الله، ولكنّ القائم الذي يطهّر الله عزّ وجلّ به الارض من أهل الكفر والجحود، ويملأها عدلا وقسطا، هو الذي تخفـــى على الناس ولادته..."[٢٦].

---

٢٥) راجع بحث حول المهدي: السيد محمد باقر الصدر.
٢٦) اكمال الدين، ص٣٦١.

و لعل الروايات الواردة في انتظار الفرج تشير الى هذا المعنـــــى، فأنـــها كثيرة واردة في فضل انتظار الفرج و أنه من أفضل العبادات، فبعـــض الروايـــات تقول : " ينتظر في غيبتـــــه" [٢٧] وأخـــرى تصـــرح " فينتظـــر خروجـــه المخلصون " [٢٨] و كذا جاء " المنتظرين أيامهم المادّين إليهم أعينهم"[٢٩].

" والإيمان بالمهدي ايمان يرفض الظلم والجور، حتى يسود الدنيا كلها، و هو مصدر قوة ودفع لا ينضب، لأنه بصيص نور يقاوم اليأس في نفس الانســـان، و يحافظ على الامل المشتعل في صدره مهما أدلهمت الخطوط وتعملق الظلـــم، لأن اليوم الموعود، يثبت ان بامكان العدل ان يواجه عالما مليئـــــا بـــالظلم والجـــور، فيزعزع ما فيه من أركان الظلم، و يقيم بناءه من جديد، وأن الظلم مهما تجـــبّر و امتد في ارجاء العالم وسيطر على مقدراته، فهو في حالة غير طبيعيّة و لابـــدّ ان ينهزم. وتلك الهزيمة الكبرى المحتومة للظلم وهو في قمة مجده، تضـــــع الامـــل كبيرا أمام كل فرد مظلوم، و كل أمة مظلومة، في القدرة على التغيـــير و إعـــادة البناء "[٣٠]

وهناك مجموعة كبيرة من الادعية، تشير الى هذا المعنى أيضا، و تربـــط الروح الموجودة عند الإنسان، بقضية الإمام الكبرى:

---

٢٧) منتخب الاثر: لطف الله الصافي، ص٢٢٣.
٢٨) منتخب الاثر : لطف الله الصافي، ص٢٢٣.
٢٩) نفس المصدر ص٤٩٤.
٣٠) راجع "بحث حول المهدي" للسيد محمد باقر الصدر.

" اللهم صل علـــى محمـــد و آل محمـــد وأنجـــز لوليـــك مـــا وعدته...اللهم أظهر كلمته و أعل دعوته و أنصـــره علـــى عـــدوه و عدوك، ياربّ العالمين... "

دعوة الى الله تعالى باظهاره ونصره على أعدائه:

" اللهم انّا نرغب اليك، في دولة كريمة تعزّ بها الاسلام و أهله، و تذل بها النفاق و أهله، و تجعلنا فيها من الدعاة الى طاعتك و القادة الى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والاخرة " .

كشف لتلك الطموحات و الرغبات، والامل الكامن عند المؤمن والتوجه به الى الله تعالى لتحقيق تلك الرغبات:

" اللهم أجعلنا في حزبه، القوّامين بأمره، الصـــابرين معـــه... جعلنا ممن تنتصر به لدينك..." .

دعوة الى الله ــ جلّ وعلا ــ ان يحقق تلك الطموحـــات والرغبـــات فـــي الحياة قبل الممات.

ويتبين مما ذكرنا كله، ان المؤمن لابد ان يعيش في حالة ترقـــب وأمـــل لتحقيق طموحاته وتطلعاته. و هي حكم الله في الارض مهما كان الوضـــع الـــذي يعيشه.. سواء كان في وضع يؤهله نحو تحقيق هدفه، أو هو في وضع صعـــب، قد يبدو بعيد زمانا عن تحقيق هدفه، كأن يعيش في محن وابتلاء شديد تحت ظالم متجبر.

فأن العيش بأمل وتطلع الى تحقيق الهدف الاسمى، يدفـــع المؤمـــن الـــى العمل والجهاد، أكثر فأكثر ولا يجعله يستسلم لسلطان اليأس يوما من الايام، حتى تنكشف المحن.

فهذا رسول الله (ص) يجسد هذه الصورة عند أصحابه، في أشد حـــالات الخوف والابتلاء والمحنة، فقد روي أنه عندما كان النبي وأصحابـــه، يحفـرون الخندق لحفظ أنفسهم من المشركين، في تلك الواقعة التي وقف بها أهل الشـــرك في صف واحد، مقابل دين الله لطمسه، فاجتمعت الاحزاب كلها: مشركوا قريـش، اليهود، القبائل...

والمسلمون أخذهم الخوف لقلّة عددهم وكثرة اعدائهم، فوصفتـــهم الايـــة الكريمة:

﴿ إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَ مِـــنْ أَسْـفَلَ مِنْكُـمْ و إِذْ زَاغَـتِ الأَبْصارُ وَ بَلَغَت القُلُوبُ الحَنَاجِرَ وَ تَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا * هُنَـــالِكَ ابْتُلِيَ المؤْمِنونَ وَ زُلْزِلُواْ زِلزَالاً شَدِيداً ﴾[٣١]

...في هذا الظرف العصيب الذي كان يعيشه المسلمون... النبي في ذلـــك الموقف الصعب. يعطي مفهوم الأمل والتطلع الى النصر .

" فعندما كان (ص) يحفر الخندق، وقعت فأسه على صخـــرة فـأقدحت ، تبسم رسول الله (ص) القائد العظيم، و قال: اني أرى قصـور كسـرى و قيصـر تتهدم"... في أشد حالات الشدة... الاعداء يحيطون بالمسلمين و هم فـــي حالـــة خوف وقلق، والاحزاب أضعاف مضاعفة بالنسبة الى عدد المسلمين... في هـــذا الجو المشحون بالرعب يؤمل الرسول القائد الامة بالنصر... بسقوط اعظم قوتيـن في العالم في ذلك الزمان، ليعطي الزخم الواسع لتحقيق النصر... و كانت النتيجـة هزيمة الاحزاب.

---

٣١) سورة الأحزاب، الآية: ١٠ــ١١.

اذن، من المظنون جداً ان الروايات الواردة في طلـــب المؤمـــن بأنتظـــار الفرج، هو توجيه الطاقات والطموحات والتطلعات الى قضية الامام المهدي (ع) و جعلها تسير بهذا المسار.

فاذا ربطت الطاقات المخزونة عند الانسان المسلم و تطلعاته و طموحاتـــه بفكرة الامام المهدي (ع)، و أنه هو القـــائد الـــذي يحقّـــق تلـــك الطموحـــات و التطلعات، نحو تحقيق حكم الله في الارض، وقيام دولة التوحيد الكبرى...

فهذا مما يجعل ثبات الفكرة ورسوخها في جسم الامة، مهما تعرضت الـــى تحريف وتضليس، ما دامت الطموحات و التطلعات موجودة. و أن كـــانت تقـــوم محاولات لابتزاز تلك الطاقات المرتبطة بالامام المهدي و فكرته، بإدعاء بعـــض الاشخاص أنه هو القائد الموعود و هو الذي سيملأ الارض قسطا و عدلا، ولكـــن مع كل هذا، بقيت الفكرة ثابتة في جسم الامة على مرّ السنين و الأجيال لربطـــها بطموحات المسلم وتطلّعاته.

المستوى الثاني
شرح الفكرة

ان فكرة الإمام المهدي (ع) هي فكرة الاسلام، لا تنفك عن الايمان، فكان يتعين على النبي (ص) والائمة (ع) من بعده، ان يشرحوا هذه الفكرة، ويعطوا الخطوط العامّة لها، كباقي مفاهيم الاسلام وأحكامه. فكانت كذلك، فأنها بينت وطرحت من قبل المعصومين (ع) بأعتبارهم المبلغين عن الله تعالى .

فالرسول الاعظم (ص) والقادة من بعده، أعطوا خطوطاً عامة عن الفكرة، بحيث يمكن تصورها والتفاعل معها، لأن هذه الفكرة مرتبطة بقضية مهمة، هي قضية الاسلام... قضية الامة... قضية وجود جيل ايماني مؤمن، ايماناً عميقاً وراسخاً بالاسلام وبالفكرة بشكل خاص، وان هذا الجيل مولده في غاية البعد الزماني عن الرّسول والائمة، وحينئذ لابدّ من مرورها عبر الاجيال، لتنمو وتنضج الى ان تصل الى ذلك الجيل، و الايمان بالفكرة بشكل عميق، لا يكون الاّ اذا كانت هذه الفكرة واضحة و لو بخطوطها العريضة، لان الايمان بالفكرة الغامضة او الناقصة، لا يكون راسخاً بل يكون متزعزعا.

فلهذا نرى النبي (ص) شرح الفكرة و تبعه الائمة (ع) ، فكانت النتيجة صورة واضحة، أو خطوطاً عريضة كاملة عن الفكرة، فقد بيّنت الروايات الفكرة، و أعطت مفهوم القائد الذي سيقود البشرية، انّه معصوم منصوب من قبل الله تعالى، و عيّنته بأنه الثاني عشر من الائمة المعصومين (ع)، و انه ابن الامام الحسن العسكري (ع) وانّ له غيبتين: صغرى وكبرى. وفي الغيبة الكبرى يمرّ

الناس والامة بامتحان و أبتلاء لصقلهم وغربلتهم، ينتشر فيها الفساد و الظلـــم، وتمر البشرية بمرحلة اليأس، عند ذاك يظهر القائد المعين.

وذكرت الروايات علامات خروجه وظهوره و شروطه. و أن له ثلّة مـــن الامة، أيمانها أيمان عميق يتناسب مع المهام الملقاة علـــى عاتقـهم. و ذكـرت موضع خروجه ومكان انطلاقه. وأنه سوف يملأ الارض قسطا و عـــدلاً بعـد أن مُلئت ظلما وجورا.

و حدّدت دولته و نوع الحكم فيها، و العدل السائد فيها، و الرخاء النـــازل عليها، و أنها ستكون أمل المستضعفين و المحرومين، بل أمل البشرية كلها، الـى غير ذلك من ذكر التفاصيل عن الفكرة و وقوعها ليتحدد أطارها.

فكان دورهم ــ صلوات الله عليهم ــ أتجـــاه الفكـرة فـــي أعطـــاء تلـــك صورة، لتبقى الفكرة على مرّ الزمن وعبر الاجيال، حيةً و واضحةَ المعالم، غير مشوّهة و ثابتة أمام التحريف والطمس.

الغيبة الصغرى

أتسمت مرحلة الغيبة الصغرى، والتي أبتدأت بوفاة الامـــام العســكري (ع) وتعيين السفير الاول عثمان بن سعيد، وأنتهت بوفاة السفير الرابع علي السَّمري، والتي استغرقت سبعين عاماً تقريباً أتسمت بغياب الامام و أحتجابه عن الامـــة، الاّ من حظي برؤيته ، فكانت الامة لا تتصل به مباشرة وانما تتصل بوكلاء عيّنـــهم الامام القائد لاتصال الامة بهم. وبعض الاحيان يلتقي بعدد محدود ووقت محدد.

وتعتبر هذه مرحلة جديدة، تمرّ بها الامة عبر مرورها بمراحل نموّهـــا و صراعها مع الباطل. و لهذا يبرز هنا دور السفراء عن الامام و قيادتهم للامة.

وأنْ كانت الامة قد عاشت فترات قصيرة بعيدة عن قادتـــها المعصوميـــن (ع) بسبب الوضع الارهابي الذي عاشته قبل هذه المرحلة.

الامة قبل الغيبة

أن الامة كانت تعيش قبل مرحلة الغيبة الصغرى، في ظـــروف صعبـــة، و تعاني من الكبت و الحرمان، لإجبارها على ترك دينها الحقيقي المتمثل في أهـــل بيت العصمة، وفصلها عن قادتها المعصومين. فأن والي المدينة المنورة، كان قـد فرض الاقامة الجبرية على العلويين في المدينة، و يعدّهم في مسجد الرسول[1].

وفي زمن المتوكل، منع من زيارة قبر الحسين (ع) و هدم قبره و حـــرث الارض[2]، لطمس معالم القبر وضياعه، لكن الامة واصلت صلتها بالقادة، و كـــانت تزور الحسين (ع)، رغم كل التشديدات التي وضعت لمنعهم.

وواصلت القيادة المنحرفة، في محاولاتـــها لفصـــل الامـــة عـــن قادتـــها الحقيقيين، فالمتوكّل وصله الخبر بالتفاف الامّة حول قائدها الامام علـــي الـــهادي (ع) والألتزام بتوجيهاته، فقيل له: " أن كان لك في الحرمين حاجة فأخْرجْ علـــيّ بن محمد منها، فانه قد دعا الناس الى نفسه و أتبعه خلق كثير."[3] فأمر المتوكـــل أعوانه بأحضار الامام الى سامراء (عاصمة العباسيين) ليكون تحـــت مراقبتـــه و منع أتصال الامة به.

---

1) جهاد الشيعة ص٢٦٣.
2) مروج الذهب للمسعودي ج٤ ص١٣٥.
3) اعيان الشيعة، قسم٣ ج٤، للسيد محسن الامين، ص٢٧٦.

و لكن الامة كانت لا تهاب الارهاب والظلـــم فواصلـــت صلتـــها بقائدهـــا ووكلائه، حتى كان البعض يأتي الامام ليعرض عليه بعض معتقداته لأحتمـــال ان يكون فيها أنحراف.

ومارست السلطة العباسية، أسلوباً آخر في الارهاب، وهو تـــهديد الامـــة وبعض أفرادها الواعين، تهديدهم بالقتل و قتل البعض منهم فعلاً ، وكـــان ذلـــك على يد بعض الولاة، كأمثال عمرو بن عوف الذي كـــان يوصْـــف بولعـــه بقتـــل الشيعة[٥] .

الحكّام العباسيون الغاصبون، لم يكتفوا بذلك، بل دسّوا السّم الـــى الامـــام علي الهادي (ع) لقتله والقضاء على أمته وكان ذلك من قبل المعتمد[٦] .

وواصلت الامة جهادها تحـــت قيـــادة الامـــام الحســـن العســـكري (ع) و توجيهاته، مع شدة الحكام المنحرفين و قسوتهم تجاه الامـــة ، فكـــانت الرقابـــة الشديدة على الامام العسكري (ع)، وكان يفرض عليه حضور مجلس الخليفة فـــي كل أثنين و خميس[٧] .

وأشتد الظلم على الامة، فتعرض أفرادها الى أشد أنواع الضغوط، فأن أبـــا هاشم الجعفري أحد أصحاب الامام المخلصين سجن[٨] ، و هذا أبـــن بنـــد ضـــرب بعمود وقتل ، وذاك عيسى بن جعفر بن عاصم ضرب بالسياط على الجسر ثلثمائة سوط، فهل اكتفوا بذلك!؟

كلا؟! بل رمي به في دجلة[٩] ... الى غير ذلك مـــن أنـــواع الممارســـات اللاانسانية، لمنع الامة من مواصلة جهادها وتمسكها بالاسلام، لاحقـــاق الحـــق وأعلاء كلمته.

---

٥) المصدر السابق ص٣٥٣.
٦) أعيان الشيعة، قسم٣ ج٤،ص٢٥٣.
٧) الغيبة، للشيخ الطوسي، ص١٣٨.
٨) المصدر السابق، ص١٢٣.
٩) المصدر السابق، ص٢١٢ ــ ٢١٣.

ومع كل هذا وذاك، فالامة تواصل جهادها وكانت تعمل بكل سرّية وكتمان للمحافظة على قيادتها وعلى وجودها، فكانت الرسائل والاسئلة تصل الى الامام عن طريق أصحابه الموثوقين ووكلائه كما سيأتي انشاء الله. وكانت الامة تمارس طلب العلم من أصحاب الامام بكل حذر و سرّية.[10]

وكانت تصل أموالها من الخمس الى الامام القائد، أما مباشرة واما بالواسطة حتى في أصعب الحالات وأشدها.

وكان الامام العسكري بدوره، يعرض الامام المهدي (ع) على بعض المؤمنين من أصحابه و يوصيهم بكتمان أمر ولادته[11].

وقامت حكيمة (أخت الامام العسكري،عليه السلام) بدور مهم وهو أخبار الثقاة من الموالين بولادة الامام المهدي (ع) و توصيتهم بكتمان الامر والحذر[12] حتى توفي الامام العسكري (ع).

والامة الموالية للقيادة الحقيقيّة، كانت ممتدة في بقاع كثيرة من أرجاء العالم الاسلامي، ولم تكن مقتصرة على بعض المدن، وانما لها وجود في معظم مدن العالم الاسلامي، ولكن كانت تتمركز في بعض المدن دون الباقي كبغداد، الكوفة. قم. الري،اليمن...

هذا حال الامة ووضعها على الاجمال، قبل الغيبة الصغرى. وقبل بيان حالها حين الغيبة، نتعرض للوضع السياسي في تلك المرحلة.

الوضع السياسي

كان الخط السياسي الذي يسير عليه الحكام العباسيون، قمع كل أتجاه يعرض معتقداتهم و آرائهم و نهجهم و سياستهم بأبشع الوسائل و الأساليب.

كان الأتراك هم المسيّرون للسياسة العباسية، و ليس للعباسيين رأي يستقل في إدارة أمور البلاد، الاّ اذا وافق عليه الاتراك، و الاّ تعرض الخليفة

---

[10] المصدر السابق، ص٢٥٥.
[11] جلاء العيون: عبد الله شبر، ج٣ ص١٣٨ ـ١٤٧.
[12] المصدر السابق، ص١٣٨.

العباسي الى العزل لأن الاتراك لا يعرفون لغة التفاهم. و اذا ما حـــاول الخليفـــة العباسي أن يعارضهم و يعمل من دون مشورتهم، عرّض نفسه للموت المحقق .

كما قام الاتراك بقتل عدة خلفـــاء عباســـيين، منـــهم المتوكـــل[١٣] و أبنـــه المنتصر[١٤] و المهتدي[١٥] و غيرهم من الخلفاء.

وكانت الفتن منتشرة في البلاد، و الحروب الداخلية متواصلـــة، فبعضـــها مع العلويين و أخرى صراع داخلي على السلطة، كما حـــدث بيـــن المـــهتدي و الاتراك[١٦] ... وثورة صاحب الزنج التي أنهكت الدولة و التـــي اســـتمرت ســـنين طوال، وأدت الى قتل كثير من الناس.

والوزراء الذين يعينهم الخليفة، كانوا لا يخرجون عادة مـــن الـــوزارة الاّ بالقتل، لا بمعنى أنهم يتمسكون بها ولا يريدون الخروج منها، وأنما نتيجة لعـــدم رضا الخليفة عنهم.

وكانت ليالي العباسيين ليالي حمراء، فكانت تشهد لـــهم ولمـــن والاهـــم بالملذات والغناء في القصور والرقص والخمر والجواري... هذه لياليهم!

وفي الصباح يديرون أمور المسلمين!!

والطابع السياسي الثابت في حكم العباسيين على العموم، هـــو معاداتـــهم لأهل بيت العصمة (ع) والقيام بجرائم بشعة أتجاههم.

كل هذه وغيرها من الامور، كانت تجعـــل الوضـــع السياســـي مـــتزلزلاً مضطرباً.

---

١٣) مروج الذهب، للمسعودي،ج٤،ص١١٩.
١٤) نفس المصدر، ص١٣٤.
١٥) المصدر السابق،ص١٨٥ ــ١٨٦.
١٦) نفس المصدر و الصفحة.

الأمة حين الغيبة

في مثل هذا الوضع السياسي المضطرب، الذي تعيشه السلطة العباسية، كانت الامة تعيش حالة من عدم الاستقرار بعد وفاة الامام العسكري (ع). فلم تكن الامة تعرف من سيخلف الامام العسكري (ع) الاّ الخواص وكانوا مأمورين بالكتمان.

والروايات عكست ذلك الوضع، فبعض الروايات تعكس أنه كانت جماعة من الامة تشك في تخليف الامام العسكري (ع) أحداً بعده مما أدى الى وقوع بعض المشاجرات، وبالتالي رجعوا الى عثمان بن سعيد بأعتباره أحد اصحاب الامام العسكري ووكلائه، وهو بدوره وجه سؤالاً الى الامام الحجة (ع)[١٧].

ومما يعكس هذا الوضع أيضاً، عندما توفي الامام العسكري (ع) وقف أخوه جعفر يستقبل الناس مدعياً الامامة، والناس تعزّيه بوفاة أخيه ويهنّونه بالامامة[١٨]. والبعض الآخر من الروايات يبين أن جماعة جاءت بالاموال الى الامام العسكري (ع) من قم، ولكنها فوجئت بوفاته ، فسألوا عن الامام من بعده، فقيل لهم جعفر، ولكنهم شكوا في ذلك[١٩]. الى غير ذلك من الروايات التي تعكس وضع الامة القلق بعد وفاة الامام الحسن العسكري (ع) . ولكنها ترجع الى عملية العاملين، الذين كانوا وكلاء للامام العسكري (ع) وكانت بعض المناطق ترسل الى سامراء او الى بغداد، ممثلين عنهم لمعرفة الخبر اليقين ولمس الدليل على الامام بعد العسكري (ع) مع ان الظروف كانت صعبة وحرجة، وكان الناس يعرضون انفسهم الى الخطر، كما اشارت احدى الروايات ان جماعة جاءت من قم لتخبر جعفر الكذاب السلطة عنها[٢٠].

وأن السلطة الحاكمة، كانت تسعى جاهدة لمعرفة مكان الإمام القائم (ع) وكانت داره مراقبة، مراقبة شديدة، كما سيأتي أن شاء الله. وكذلك أدعاء السفرة من الامام المهدي (ع) من قبل بعض المنحرفين، وأحداث الوشوشة

---

[١٧] راجع الغيبة، للشيخ الطوسي، ص١٧٢-١٧٣.
[١٨] راجع منتخب الاثر، ص٣٦٧.
[١٩] راجع اكمال الدين، للصدوق، ص٤٤٤-٤٤٧.
[٢٠] المصدر السابق ص٤٤٥.

والبلبلة في صفوف الامة. والتشكيكات التي كانت تطرح حول وجود الامـــام (ع) وغيبته... الى غير ذلك من الامور التي تجعل وضع الامة غير مســـتقر وتبقـــى غالبية الامة لا تعرف الامام القائد.

وهنا يبرز دور السفراء...

دور السفراء

قبل وفاة الامام العسكري (ع) كان الإمام يرجع الناس الـــى عثمـــان بـــن سعيد العَمري، الذي كان في بغداد للاتصال به، والذي عيّن ســـفيراً عـــن الامـــام القائد (ع) بعد وفاة العسكري (ع).

فبدأ العمل بأعتباره واجهة للامام القائد، فوضع اســـساً ثابتـــة لاســـتقرار الأمة بعد أن سادها القلق بعد وفاة العسكري (ع)، فكـــانت تصـــدر منـــه بعـــض الكرامات تدلل على أنه سفير الامام القائد.

وبدأت تخرج البيانات عن طريقه من الامام القائد الى الامة، بنفس الخـــط الذي كان يخرج من الامام العسكري (ع) حيث أن الامة كانت تعرف خـــط الامـــام (ع)[٢١]. وكان السفير يأمر باستنساخ بعض البيانات الصادرة من القائد عن طريقه ونشرها بين الامة.

وكانت الامة تتلاقف هذه البيانات من الامام القائد لأنـــها تعطيـــها دفعـــاً وزخماً في جهادها مع الباطل وتثبيتها للحق، وكانت تحتفظ بهذه البيانـــات علـــى أختلاف مواضيعها[٢٢] لأيصالها للأجيال التالية لها. ومن الواضـــح أن الإشـــاعات كانت لها أرضية خصبة، في تلك المرحلة للتشكيك في وجود الامام القائد. ولـــهذا كان السفير عثمان بن سعيد، يقوم بدور الاتصال ببعـــض الأشـــخاص المؤمنيـــن ليقابلوا الامام الحجة (ع) دفعاً للشكوك وتثبيتاً لقضيته، كما يظـــهر مـــن بعـــض الروايات أن بعض المؤمنين كانوا يشخصون الامام لأنهم رأوه مسبقاً.[٢٣]

---

٢١) البحار، للمجلسي، ج٥١ ص٣٤٦.
٢٢) نفس المصدر ص٣٥٨.
٢٣) راجع منتخب الاثر، ص٣٦٨-٣٧٢.

وقد صرح الامام القائد لأحد المؤمنين الذين قابلوه " لولا المشككين لما رأيتني "[٢٤] وبنفس الوقت يمكن الاستفادة من كلامه (ع) ان الظروف كانت صعبة في تلك المرحلة، لهذا كان السفير يقوم بتوجيه الامة وتدريبها على الكتمان. فكانت الامة تسأل عن اسم الإمام، فيأتيها نهي عن ذكر اسمه كما سيأتي بيانه، وأنما تؤمر بأن تذكره اما بأسم القائم او المهدي او الصاحب او الناحية الى غير ذلك، وهي اعتادت على ذلك بالفعل، كما يلاحظ من الرسائل الموجهة الى الامام القائد.

وكان السفراء ايضاً يقومون بدور الاجابة عن الاسئلة التي توجه اليهم باعتبارهم سفراء عن الامام القائد، فقهية كانت او عقائدية او توجيهية.

وقبل وفاة عثمان بن سعيد، صدر بيان من الامام القائد الى الامة ينعى فيه بقرب وفاة سفيره الاول وتعيين سفيره الثاني محمد بن عثمان[٢٥]. وبدأت تخرج البيانات عن طريقه من الامام القائد، بنفس الخط التي كانت تخرج من السفير الاول[٢٦].

والدور الذي كان يؤديه السفير الثاني محمد بن عثمان، هو نفس الدور الذي كان يؤديه ابوه عثمان بن سعيد، بل أن السفراء الاربعة بشكل عام لهم دور واحد مشترك، وهو ما بيناه في السفير الاول، وهناك بعض الخصوصيات التي يتميز بها كل سفير.

وكانت مدة سفارة محمد بن عثمان، اكبر مدة قضاها سفير، ولكن مع ذلك، البيانات التي كانت تخرج منه قليلة بسبب الوضع الإرهابي الذي كان سائداً، وهو في زمن المعتضد وقد ضيّق وشدّد عليه[٢٧].

وأنتهت سفارة محمد بن عثمان بوفاته و تعيين الحسين بن روح سفيراً ثالثاً عن الامام القائد، و الذي حاول أن يتكيف مع تلك المرحلة الشاقة، فكانت

---

٢٤) نفس المصدر، ص٣٧٥.
٢٥) راجع الغيبة، للشيخ الطوسي، ص٢١٩-٢٢٠
٢٦) نفس المصدر والصفحة.
٢٧) نفس المصدر ص١٨٧.

مشاقاته كثيرة[٢٨]. كل ذلك حفاظاً على الامام القائد المدّخـــر لمهمتـــه العالميـــة، وحفاظاً على أمته. ومع ذلك تعرض الحسين بن روح الـــى الاعتقـــال مـــن قبـــل السلطة الحاكمة[٢٩].

وانتهت سفارة الحسين بن روح بوفاته وتعيين علي بن محمد السّـــمري سفيرا رابعا وكانت مدة سفارة حسين بن روح تسعة عشر سنة تقريبـــاً، ولكـــن سفارة علي السمري كانت قصيرة ومقدارها ثلاث سنوات.

و أنتهت بالبيان التأريخي الاخير الصادر من الامام القـــائد، ينعـــى فيـــها بقرب وفاة سفيره الرابع علي السمري وبانتـــهاء الغيبـــة الصغـــرى والســـفارة، وابتداء الغيبة الكبرى، وكان ذلك في النصف من شعبان سنة ٣٢٩هـــ:

" بسم الله الرحمن الرحيم. يا علي بن محمد الســـمري! أعظـــم الله أجـــر أخوانك فيك، فأنك ميّت ما بين ستة أيام فأجمع أمرك ولا توص الى أحـــد فيقـــوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور الاّ بعد أذن الله – تعالى ذكره – وذلك بعد طول الامد وقسوة القلوب، وأمتلاء الارض جوراً. وسيأتي لشـــيعتي من يدّعي المشاهدة قبل خروج السفياني والصّـيحة، فهو كذاب مفتر ولا حـــول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم "[٣٠].

فكان هذا أيذاناً بغيبة الامام القائد وأبتداء الغيبة الكبرى: فترة الامتحـــان والاعداد، وسارع جماعة لاستنساخ هذه الرسالة المهمة، لنشرها علـــى الامـــة، وأيصالها الى أطرافها، لتعلم بأبتداء المرحلة الجديدة[٣١].

لشدة تجاه الانحراف

مرحلة الغيبة الصغرى، تعيشها الامة وهي تشرف على مرحلـــة جديـــدة وشاقة، تفقد فيها الامام القائد وتوجيهاته... تفقد فيها رعاية القـــائد المعصـــوم بشكل مباشر.

---

٢٨) نفس المصدر السابق، ص٢٣٦ ــ ٢٣٧.

٢٩) نفس المصدر ص١٨٧.

٣٠) الغيبة، للشيخ الطوسي، ص٢٤٢.

٣١) الغيبة، للشيخ الطوسي، ص٢٤٣.

فقد تتعرض للفتن والشكوك في مرحلتها الجديدة، فتحتاج الى ثبات بعض المفاهيم، وقطع دابر المشككين، واستأصال جذور الانحراف، بالاضافة الى التعرض الى الابادة من قبل الطغاة، المستكبرين الذين يرعبهم أيمان المستضعفين وخصوصاً أيمانهم بفكرة دولة التوحيد. لهذا أتخذت القيادة المعصومة بعض الشدة والصرامة، تجاه عدة قضايا في سبيل حسم هذه القضايا، قبل فوات الاوان وقبل أستفحالها وأمتدادها، الى المرحلة الجديدة.

ففي الغيبة الصغرى، ظهرت أدعاءات عند بعض الاشخاص، على أنهم سفراء الامام القائد، لأضلال الناس بها كأمثال محمد بن علي الشلمغاني (ابن ابي العَزاقر) و احمد بن هلال العَبَرتائي و محمد بن نصير النميري و غيرهم[٣٢] .

وهذا أنحراف يشكل خطراً للامة، فانه يجزّئها ويفتت وحدتها، بالاضافة الى تحريف كثير من المفاهيم والاحكام فضلاً عن أتساع الانحراف وأستمراره الى مرحلة الغيبة الكبرى، وبه تفقد الامة حيويتها و أستمرارها على الجهاد لبلوغ أهدافها.

فعندما بدأت مثل هذه الادعاءات الكاذبة تظهر، بدأت القيادة المعصومة اتخاذ التدابير الصارمة أتجاهها. فأن اول من أدعى تمثيل الامام القائد هو الشريعي، فكان الرد قوياً وعنيفاً، فكذبته القيادة عن طريق سفيرها ولعنته وتبرأت منه وأمرت مواليه بالبراءة منه ولعنه، لينكشف زيف أدعائه امام الناس.[٣٣] و تتخذ بعض الاجراءات المناسبة في الذين لم ينتشر خبرهم في صفوف الامة.

فعندما وصل الخبر الى محمد بن عثمان السفير الثاني، بأن محمد بن نصير النميري ادعى السفارة كذباً، ذهب اليه بنفسه كمحاولة اولية لأصلاحه وقبل انتشار الخبر، فناقشه أمام أصحابه وأدحض دعواه[٣٤]، لكنه لم ينثن وانما ستمر في أنحرافه وكذبه بادعاء السفارة، فجاء الرد عنيفا بالبراءة منه ولعنه

---

٣٢) راجع الغيبة للطوسي، ص٢٤٤ ــ ٢٥٦.
٣٣) الغيبة، للشيخ الطوسي، ص٢٤٤.
٣٤) المصدر السابق ص٢٤٦.

وايصال هذا البيان الى الامة. وحينما حاول محمد بن نصير مقابلة محمد بن عثمان السفير الثاني، ليتخذها وسيلة في تثبيت دعواه وإيهام الناس، رفض السفير الثاني مقابلته والاجتماع به.[٣٥]

وكانت القيادة تحاول تطويق الانحراف قبل استفحاله وانتشاره فكانت ترسل الى القوم الذين كانوا مع مدعي السفارة كذبا، او كانوا في نفس المنطقة، ترسل لهم الاشخاص تارة والرسائل تارة اخرى لبيان خطورة وفساد الدعوى، كما حدث الى قوم بني بسطام الذين تأثروا بأبن ابي العزاقر الذي ادعى السفارة، فبعد اتخاذ الاجراءات لمجابهته، كتب الحسين بن روح السفير الثالث الى بني بسطام يلعنه والبراءة منه وممن تابعه على قوله واقام على توليه[٣٦].

وعندما لم تؤثر مثل هذه الاجراءات في بني بسطام، واستمروا في متابعة أبن ابي العزاقر، منعت القيادة الاتصال بهؤلاء القوم الذين دعموا الانحراف[٣٧]. وعندما خرج البيان في البراءة منه ولعنه أخذ هذا البيان و وزع على العلماء والمشايخ في المدينة. ثم امرت القيادة بأستنساخه وتوزيعه في جميع المدن قبل وصول دعوة ابن ابي العزاقر المنحرفة، مما ادى الى البراءة منه في جميع الاقطار الاسلامية الموالية[٣٨].

وكذلك كانت القيادة تحاول في هذه المرحلة، غلق ابواب الشكوك والتساؤلات، وخاصة فيما يتعلق بغيبة الامام، وذلك بتدريب الامة على اخذ التوجيهات من القيادة من دون السؤال عن العلة والسبب، وانما لتكون الامة منقادة الى قادتها وطائعة لهم بعد علمها وايمانها بشرعية قيادتها. فأن ذكر العلل والاسباب قد يخلق حالة من التساؤلات عند من لم يفهم ذلك السبب، وخاصة ان غالبية الامة لم تكن مثقفة وواعية لكي تفهم ذلك. فقطعاً لدابر الشكوك والأقاويل،

---

٣٥) المصدر السابق ص ٢٤٤.
٣٦) الغيبة، للشيخ الطوسي، ص٢٤٨.
٣٧) المصدر السابق ص٢٤٩.
٣٨) المصدر السابق، ص ٢٥٣-٢٥٤.

لم تجب القيادة عن علة الغيبة[٣٩] وخاصة ان الأمة مقبلة علـــى مرحلـــة جديـــدة، فأرادت القيادة من الأمة التعبد بآرائها وعدم السؤال عن العلل و الانشغال بـــأمور أهم.

وصورة اخرى تظهر للشدة والصرامة، حينما يسأل البعـــض عـــن اســـم الإمام القائد فيأتيه الجواب: " اما السكوت والجنة واما الكلام والنار "[٤٠].

فأن مثل هذه المواقف الشديدة أتسمت بها مرحلة الغيبة الصغرى لقطـــع دابر تفشي الانحراف الى المرحلة الأخرى. وحينما أشرفت هـــذه الفـــترة علـــى الانتهاء، وايذاناً ببداية جديدة للامة، خرج البيان التاريخي من الإمام القـــائد (ع) معلناً فيه انتهاء الغيبة الصغرى وابتداء الغيبة الكبرى، ومبيناً فيه أن في المرحلة الجديدة الغيبة الكبرى، لا سفارة ولا مشاهدة، ومن ادعاها فهو كذاب[٤١].

فأن هذه المواقف والإجراءات الشديدة أثرت أثرها في الأمة فعندما ادعـــى أبو بكر البغدادي، السفارة عن الإمام القائد بعد السفير الرابـــع علـــي الســـمري، أنكرت الأمة عليه هذا الادعاء ولم توليه اهتماماً [٤٢].

---

٣٩) راجع جلاء العيون: عبد الله شبر، ج٣ ص١٥٨.
٤٠) الغيبة، للشيخ الطوسي، ص٢٢٢.
٤١) نفس المصدر ص ٢٤٢-٢٤٣.
٤٢) الغيبة، للشيخ الطوسي، ص ٢٥٤-٢٥٥.

الغيبة الكبرى

تهيئة الأمة للغيبة الكبرى

مرحلة الغيبة الكبرى، مرحلة جديدة وشاقة تواجهها الامة، فأنها كانت في المراحل السابقة تعيش مع المعصوم وتحت توجيهاته بشكل مباشر. فكانت تعتمد على المعصوم اذا ما واجهت الامة مشكلة او انحرافاً في داخلها، سواء كانت هذه المشاكل والانحرافات عامة متعلقة بالامة او قسم منها، او انها فردية تخص فرداً من افرادها، فهي تهرع الى المعصوم لتأخذ توجيهاته. وبهذا فهي لا تعتمد على نفسها في مجابهة مثل هذه الامور، بينما في هذه المرحلة يتعين عليها مواجهة المشاكل الداخلية و الخارجية بنفسها، والوقوف أمام التحديات والتيارات دون الرجوع الى المعصوم، فضلاً عن اخذ المواقف الثورية والحازمة منه (ع).

وان كان المعصومون قد تركوا لها تراثا ضخما يمكن الرجوع اليه، و هذا ليس معناه عدم مجابهة مثل هذه المشاكل من قبل الامة نفسها. أضافة الى انها كانت تعيش الى جنب المعصوم بحرارة و بعاطفة كانت تكسبها منه، فالدافع الذي يدفع الامة الى العمل والتضحية في سبيل الاسلام، ليس هو جانب العقيدة والايمان عندها فقط، بل أضافة الى ذلك الطاقة العاطفية التي تكتسبها الامة من الرسول الاعظم (ص) او من الامام (ع) لوجوده بين الامة، بينما في مرحلة الغيبة بعد فقدان المعصوم، تفقد الامة هذه الطاقة والزخم العاطفي نحو العمل، بلى يبقى جانب الايمان بشكل عام هو المحرك.

اذن، هذه المرحلة من حياة الامة مرحلة صعبة وشاقة . فهي مرحلة فتنة وابتلاء ،عليها ان تحدد مواقفها بنفسها وتسير سيراً تصاعديا نحو تحقيق مهماتها. لكن المعصومين لم يفاجأوا الامة بهذه المرحلة لتتخبط في خضم التيارات الفكرية والانحرافات السلوكية وتفرعن الطغاة، بل انهم ـ عليهم السلام

ـ خططوا لهذه المرحلة منذ فترة بعيدة، بدأوا ينفذون هذه الفكرة للتمهيد نحـــو هذه المرحلة الشاقة على أربع مستويات:

١. تعيين وكلاء.
٢. تعيين القيادة.
٣. روايات الغيبة.
٤. احتجاب الأئمة (ع).
٥. عوامل مساعدة.

١. تعيين وكلاء

ان الائمة (ع) عينوا وكلاء لهم، ليرجع المسلمون الموالون اليـــهم مـــن دون الرجوع الى الامام مباشرة. وقد جعل كل واحد منهم وكلاء كثـــيرين، فمثـــلاً الامام الصادق (ع) جعل عبد الرحمن بن الحجاج وكيلاً عنه، وكان عبـــد الله بـــن جندب البجلي وكيلاً للامام الكاظم والامام الرضا ايضاً وعلي بن جعفـــر الـــهماني وكيلاً للامامين علي الهادي والحسن العسكري[1] ، الى غير ذلـــك مـــن الوكـــلاء الكثيرين للائمة لإرجاع الامة اليهم في امور دينهم و دنياهم، وقبض الاموال.

وكانت تصدر التوثيقات منهم (ع) وارجاع النـــاس الـــى وكلائـــهم مـــن العلماء، فقد روي عن محمد بن الحسين الكاتب المروزى انه قـــال: كتبـــت الـــى الغريم (من ألقاب القائم "ع")... قال (ع) " ان اردت ان تعامل احداً فعليـــك بـــأبي الحسين الاسدي بالري"[2].

---

١) راجع الغيبة، للشيخ الطوسي، ص٢١٠ ـ ٢١٢.
٢) المصدر السابق ص٢٥٧.

بل كانت بعضها تجعل من طاعة الوكيل طاعة للامام (ع)، كما فـــي أبـــي علي بن راشد الذي كان وكيلاً للامام علي الهادي (ع)، كما جاء عن محمـــد بـــن عيسى قال: كتب ابو الحسن العسكري (ع) الى الموالي ببغداد و المدائن والســواد وما يليها:

" قد اقمت ابا علي بن راشد مقام علي بن الحسين بن عبد ربه و من قبله من وكلائي وقد اوجبت في طاعته طاعتي وفي عصيانه الخروج الى عصياني ".[٣]

فأن مثل هذه الرواية وغيرها من الروايات تعطي هـــذه المكانـــة العاليـــة لوكلاء الامام، ليرجع الناس اليهم والركون اليهم، فأذن الائمة (ع) كان لهم وكلاء في المناطق والمدن من العلماء العاملين الموثوقين ليرجع الناس اليهم، وليكونـــوا واسطة بينهم وبين الامام (ع). وهذا يجعل اعتياد الامة على عدم الرجـــوع الـــى الامام دائما وانما هناك وكلاء قد نصبهم الإمام ليرجعوا اليهم لأخذ امـــور دينـــهم منهم، وحل المشاكل عندهم، والاعتماد عليهم وإيجاد جسر ورابط من الثقة، بيـــن الامة وبينهم.

٢. تعيين القيادة

ان للعلماء دور القيادة في الاسلام، وهم ورثة الانبياء، كمـــا جـــاء فـــي الحديث، وأنهم حملة الإسلام بعد الأئمة (ع) والمدافعون عنه، والمشخصون الداء والدواء، فارتباط الأمة بهم من ضروريات بقائها، واستمرارها كأمة إسلامية لـــها خصائصها وميزاتها، بل الارتباط بالعلماء (القيادة) والانقياد لها، من ضروريـــات

---

٣) المصدر السابق ص٢١٢.

الحفاظ على الإسلام من التشويه والتحريف، فالروايات الواردة من الأئمة تعطي بشكل واضح للعلماء دور القيادة في المجتمع، فالفقيه الجامع للشرائط يكون قائداً للامة كلها، وباقي العلماء، حسب مستوياتهم العلمية و وعيهم، وتحملهم للمسؤولية، يكون لهم دور القيادة في حدود مجتمعهم او مدينتهم او قريتهم او منطقتهم.

وقد جعل "السيد الشهيد الصدر" من واجبات المرجعية الصالحة في اطروحيته " إعطاء المراكز العلمية من المرجعية الى ادنى مراتبها، الصفة القيادية في وسط الأمة "، فأن وجود القيادة في وسط الأمة يحافظ عليها من الذوبان في كيانات اخرى ولبقائها – مادامت ملتفة حول قيادتها – على وجودها وكيانها بشكل مستقل، رغم الهجمة الشرسة من الأعداء على مر العصور، ورغم تفرعن الطغاة والمستكبرين.

لهذا، كانت تصدر من الائمة – عليهم السلام – روايات كثيرة في الرجوع الى العلماء، وربط الامة بهم والتي يستدل ببعضها على وجوب التقليد فمنها ما روى عمر بن حنظلة، عن ابي عبد الله (ع)... قال:

" من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا، فليرضوا به حكماً فأني قد جعلته عليكم حاكماً، فأذا حكم فلم يقبل منه فأنما استخف بحكم الله وعلينا ردّ، والرادّ علينا الرادّ على الله، وهو على حد الشرك بالله"[٤].

وروى عن الامام ابي محمد العسكري، عن ابي عبد الله، أنه قال:

---

٤) وسائل الشيعة، ج١٨ ص٩٩.

" فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه مخالفاً على هـــواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام ان يقلدوه "[٥].

فأن مثل هذه الروايات والتوجيهات من الائمة (ع) كانت توجه الامة الـــى العلماء، والرجوع اليهم، والانقياد لهم، والارتباط بهم، وحددت مواصفات لـــهؤلاء العلماء، فكلما انطبقت هذه المواصفات على مؤمن في اي مكان واي زمان، فـــان الامام جعله مرجعاً للامة، حاكماً قائداً لها. فهو بمثابة الوكيل عن الامام المعيـــن، وجعل رد حكمه رداً على الله تعالى. وهذا الارتباط قمة الانقياد للعلماء بـــل كـــان الائمة – عليهم السلام – يوجّهون الامة عملياً للرجوع الى العلماء لتتدرب الامـــة على ذلك فعن:

" اسماعيل بن الفضل الهاشمي قال: سألت ابا عبد الله عن المتعة، فقـــال: لق عبد الملك بن جريح، فسله عنها فأن عنده منها علماً. فلقيته، فـــأملى علـــيّ شيئاً كثيراً في استحلالها "[٦].

فأن هذا يجعل الامة معتمدة على العلماء والرجوع اليهم فـــي قضايـــاهم، والالتزام بتوجيهاتهم والانقياد لهم من دون الرجوع الى الامام، سواء كان الامـــام موجوداً او غائباً.

٣. روايات الغيبة

ان الروايات الواردة من النبي (ص) والائمة (ع) في غيبة الإمـــام القـــائد ع) حددت معالم المرحلة، فذكرت انه سوف تمر الأمة بمرحلة صعبة وحرجـــة...

---

٥) منتخب الاثر ص٣٥٩.
٦) وسائل الشيعة، ج١٨ ص١٠٠.

مرحلة ابتلاء وامتحان، وهي مرحلة غيبة الامام (ع) فقد روي عن رسول الله (ص) انه قال:

" يا غمار! اعلم ان الله تبارك وتعالى، عهد اليّ انه يخرج من صلب الحسين أئمة تسعة، والتاسع من ولده يغيب عنهم، وذلك قول الله عزّ وجلّ: قل أرأيتم ان أصبحَ ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء مَعين. يكون له غيبة طويلة، يرجع عنها قوم ويثبت عليها آخرون... " [٧].

وروي عن الامام موسى بن جعفر (ع) انه قال:

" اذا فقد الخامس من ولد السابع، فالله الله في اديانكم، لا يزيلنكم أحد عنها، يا بني انه لابد لصاحب هذا الامر من غيبة حتى يرجع عن هذا الامر من كان يقول به، انما هي محنة من الله امتحن الله بها خلقه... " [٨]. والروايات في هذا المجال كثيرة جدا.

فأن هذه الروايات تشير الى مرحلة الغيبة الكبرى... المرحلة الصعبة والشاقة مما يجعل الأمة متهيئة مسبقاً لهذه المرحلة الجديدة.

٤. احتجاب الأئمة

كان بعض الائمة (ع) يحتجبون عن الامة مدة من الزمن، الاّ عن بعض خواصهم، وخاصة الامامين العسكريين (ع) فأنهم كانوا يحتجبون عن الامة لفترة من الوقت، فقد ذكر المسعودي في اثبات الوصية قوله " وروي ان ابا الحسن صاحب العسكر احتجب عن كثير من الشيعة الا عن عدد يسير من خواصه... " [٩]

---

٧) منتخب الاثر ص٢٠٤.
٨) المصدر السابق ص٢١٨.
٩) منتخب الاثر ص٣٠٨.

والغيبة الصغرى هي احتجاب الامام المهدي (ع) عن الامة منذ وفاة ابيه الحسن العسكري (ع) الى بداية الغيبة الكبرى بوفاة السفير الرابع علي السمري.

واستمرت الغيبة حوالي سبعين عاماً، وهذا معناه انه نشأت اجيال على الرجوع الى الوكلاء والعلماء، من دون الرجوع الى الامام مباشرة ولهذا كانت هذه الفترة من اهم الفترات التي جعلت الرجوع الى العلماء والوكلاء والانقياد لهم امراً طبيعياً.

وليس السفراء الاربعة كانوا هم الوكلاء فقط، بل كان وكلاء آخرون ترجع الامة اليهم حيث كانت ترجع الى العلماء ايضاً وتخرج عنهم بعض الاجوبة من الامام القائد من امثال محمد بن ابراهيم بن مهزيار[١٠] واحمد بن اسحاق[١١] ومحمد بن جعفر الاسدي[١٢]. بل ان السفراء الاربعة كان لهم وكلاء ايضاً، فكانت الامة ترجع اليهم، وهم بدورهم يرجعون الى السفير، فقد ذكر الشيخ الطوسي انه كان لمحمد بن عثمان العمري السفير الثاني، عشرة وكلاء في بغداد فقط ومنهم الحسين بن روح[١٣].

٥. عوامل مساعدة

الظروف الصعبة التي كانت تعيشها الامة، ساعدت على تهيء الامة للرجوع الى العلماء من دون الاعتماد على الإمام مباشرة. فأن الامام الكاظم (ع) سجن مدة طويلة تقدر بستة عشرة سنة، والامام الرضا بعد ان اضطر الى قبول ولاية العهد كان بعض الخواص يستطيعون الاتصال به دون الامة، والامامين العسكريين (ع) قد جلبا الى عاصمة العباسيين (سامراء) وأسكنوهما في قصر

---

١٠) الغيبة، للشيخ الطوسي، ص١٧١.
١١) نفس المصدر ص٢٥٨.
١٢) تاريخ الغيبة الصغرى: محمد الصدر، ج١، ص٦١٩.
١٣) الغيبة، للشيخ الطوسي، ص٢٢٥.

مجاور الى قصر الخليفة العباس، لمنع اتصال الامة بهما، اضافة الى ســجنهما[١٤] بين فترة واخرى. فكل هذا يجعل الوصول الى الامام في غاية الصعوبة.

والوضع الارهابي السائد، فالتنكيل بالمؤمنين الموالين للامام يشـتد بيـن فترة واخرى، بحيث يكون الوصول الى الامام في غاية الخطورة.

هذه كانت عوامل مساعدة لتهيئ الامة في الاعتماد على العلماء، والانقياد لهم دون الاعتماد على الامام المعصوم مباشرة.

فكل هذه الامور هيأت الامة على العيش فترة من الزمن دون الرجوع الـى القيادة المعصومة. وانما الرجوع الى القيادة العلمائية مما يجعل الامة قد نضجـت نضوجاً معتداً به، بحيث يمكن لها ان تعيـش وحدهـا دون توجيـهات القيـادة المعصومة مباشرة، والسير نحو هدفها سيراً تصاعدياً بقيادة العلمـاء العـاملين لتصل الى درجة عالية من الايمان فيكون الوقت مهيئاً بظهور الامام المـهدي (ع) ونشوء دولته العالمية. دولة التوحيد الكبرى.

١٤) منتخب الاثر ص ٢٣٨

تحصين الأمة في عصر الغيبة

في مرحلة الغيبة الكبرى، فتن وابتلاءات وامتحانات، فالاضطـــهاد للامـــة من قبل الطغاة والمستكبرين والمعادين للاسلام مستمر على قدم و ساق:

فتارة يكون على شكل ابادة جماعية، كما حدث في عصر الشيخ الطوســـي والذي اضطره للخروج من بغداد الى سكنى النجف، وفي مصر عندما جاء صـــلاح الدين الأيوبي، قام بإبادة جماعية، فاحرق الايوبيون مكتبة القصر الفاطمي التـــي جمعت مئتي الف مجلد، وأبادوا مكتبة الازهر ايضا ومكتبة اخرى هي مكتبـــة دار الحكمة[1] .

واخرى يكون الاضطهاد على شكل فردي فيتعرض افراد من الامة للقتـــل والاضطهاد والزجّ في السجون.

واما الخط الفكري الذي كان يتخذه الحكام المنحرفون، هـــو خـــط مغـــاير للخط الشيعي الذي هو الاسلام الحقيقي، فهو ينكر الامامة لأهل البيت والعصمـــة لهم، ويجوز على النبي (ص) الخطاء، ويلتزم بعصمة الصحابة جميعاً، لتبرير كـــل عمل يصدر عن الحكام المنحرفين، مهما كان انحرافه عن الاسلام ودعمه بعمـــل بعض الصحابة المنافقين، وبنسبة الظلم الى الله تعالى وتجسيمه، وكـــذا ينسـب الجبر الى الله والمنحرفين، الى غير ذلك من الافكار البعيدة عن الفكر الاســـلامي الاصيل المتمثل في الفكر الشيعي.

وكذلك في الفقه، فأن جعل الظنون حجةً كالقياس والاستحسان و غـــيره، وعدم الرجوع الى الائمة من أهل البيت (ع) والرجـــوع الـــى الصحابـــة، وأخـــذ الروايات من المنافقين والمعادين للاسلام وعدم أخذها من أهل بيت النبوة... الـــى غير ذلك من جوانب الاختلاف، ممّا ادّى ان يكون الفقيه بعيداً كلّ البعد من الفقـــه الاسلامي الحقيقي. وان هذا الفقه كان مفروضاً على الامة للعمل بـــه. واجـــراء العبادات والمعاملات على وفقه. و كذلك الافكار والمعتقدات كانت تفـــرض علـــى

---

١) الاجتهاد و الفتوى: محي الدين الغريفي، ص١٤.

الامة للألتزام بها والاّ قد يؤدّي الى القتل كما كان يصنع الحكام الطغاة بـــالموالين لأهل البيت، فكان بعض الطغاة يأتي بالمؤمن ويوجه لـــه ســؤالاً أيّــهما افضــل الخليفة الاول او الرابع، فإذا قال الرابع قتل أو ضرب مئة سوط او سجن. وكــانت هذه وامثالها تتكرر على طول الخط في عصر الأئمة ــ عليهم السّلام ــ والغيبـــة الكبرى ايضاً.

ومن هنا كانت التأكيدات على التقية من قبل أهل البيت ــ عليهم السّـــلام ــ، فأن كل هذه الاشياء تجعل اضمحلال الفكر الاسلامي وفقهه شيئا فشيئا علـــى مرّ العصور والايام الى ان تكــون النتيجــة اســلاماً مشــوّهاً ، اســلام الطغــاة والمستكبرين يفسرونه كيفما يشاؤون.

أن الانحراف قد يبدأ بدرجة صغيرة جداً قد لا يلتفت اليه الاّ الراسخون في العلم، و لكن بمرور الزمن يتسع هذا الانحراف و يترســخ الــى ان يكــون هــو المسيطر والاصيل. ولهذا كان النبي (ص) يتصدى لكـــل انحــراف، مــهما كــان صغيراً، والوقوف بوجهه.

فعندما سمع النبي (ص) ان جماعة من الصحابة تركوا الدنيا و أعتكفــوا بالمساجد، وهجروا نسائهم، غضب لهذا العمل وصعد المنبر وبيّن ان هذا العمــل ليس من الاسلام وانه انحراف عن الاسلام، وأشار الى عمله باعتبـــاره الأســوة الحسنة، فقال انه (ص) يعمل ويصلي، ويصوم ويفطر، يقوم الليل وينامه... فكــلن موقفاً منه (ص) حازماً تجاه هذا الانحراف للقضاء عليه قبل أتساعه.

وكذلك الائمة (ع) كانوا يقفون أمام الانحراف بشدة، فوقف أمير المؤمنين (ع) موقفا حازماً من مسئلة جواز المسح على الخفين وأوضح انه ليـــس حكــم الله... وانما المسح على القدمين، وكذلك باقي الائمة (ع) وقفوا موقفا حازماً مــن مسئلة الجبر والتفويض، وخلق القرآن، و الروايات الكاذبة، و...

هذا كان في عصر المعصوم (ع) فأنه كـــان يتصــدى لمــا يحــدث مــن الانحرافات والاخطاء. وأما في عصر الغيبة الكبرى ــ وهي غيبة الامـــام (ع) ــ فأن الامة قد تتعرض لضغوط للقضاء عليها جسدياً وصهرها في بودقـــة الحكــم المنحرف، فكرياً وفقهياً وسياسياً. وخاصة اذا استمر هذا الضغط على الامة لمــدة

طويلة، فقد تضعف وتنحرف شيئاً فشيئاً الى ان تذوب ولا يبقى لها وجـــود ممـــا يؤدي الى اضمحلال الاسلام الواقعي و الحقيقي عن مسرح الحياة.

كما اندثرت كثيرا من الفرق التي ظهرت في العصر الاموي و العباســـي، والتي تعرضت لضغوط من الحكام، ولم يبق لها وجود، او بقى لها اسم فقط ولـــم يكن لها فكر وفقه متميز وهذا يؤثر على قضية الامام المهدي (ع) فأنـــه يحتـــاج الى خروجه، أضافة الى الظروف الموضوعية، وجود جماعة مؤمنة ايماناً عميقـاً بالاسلام ومنسجماً مع متطلبات المرحلة الجهادية، والتي هي القضاء على الظلـــم والفساد في العالم اجمع وتحقيق السعادة تحت حكم الله تعالى، في ارجاء الارض.

ولكن النبي (ص) والقادة من أهل بيته ــ عليهم السّلام ــ وضعوا الاسس العميقة والثابتة التي تجعل الامة راسخة وثابتة، أمام التحديات، أمـــام الضربـــات القاسية، وأمام عمليات الصهر، و وضعوا حواجز تحول دون الذوبان، مهما كانت قوة الانحراف وسطوته.

بالاضافة الى جهاد النبي (ص) والقادة المعصومين (ع) في إعطاء الفكـــر لاسلامي الخلاق، وبيانه بكل أبعاده، وكذلك بيان وتوضيح الفقه الاســـلامي بكـــل حدوده، إضافة الى هذا وغيره، فأن القادة المعصومين أكدوا على حقائق اسـلامية مهمة وثابتة تعطي للامة كياناً مستقلاً عن الجهاز المنحـــرف وان كـــان حاكمـــاً ومسيطراً ومن هذه الحقائق:

١. الحكام الغاصبون.
٢. حرمة التخاصم.
٣. الاجتهاد.
٤. الخمس.

١. الحكام الغاصبون

بيّن الائمة (ع) ان الخلافة أغتصبت منهم وأنهم القادة الشرعيون والحكام الحقيقيون، وأن هؤلاء الحكام والخلفاء غاصبون لهذا المنصب، طغاة مستكبرون. ولهذا عندما سأل الخليفة العباسي المهدي الامام موسى الكاظم (ع عن حدود فدك ليردها اليه – عندما كان المهدي جالساً يردّ مظالم الناس – كان جواب الامام الكاظم (ع): حدود الدولة الاسلامية[٢] .

و كانت بعض الروايات، تعبر عن الخلفاء العباسيين و الامويين بولاة الجور. فقد روي عن الامام الصادق (ع) انه كان يخاطب أحد أصحابه فقال:

" و ذلك ان ولاية الجائر دروس الحق كله، و إحياء الباطل كله، و إظهار الظلم و الجور و الفساد "[٣].

أن الحكام الحقيقيين هم الائمة (ع) في عصر حضورهم، و الا فنوّابهم، و هم المجتهدون العدول. وعلى هذا يكون الحكام الغاصبون للخلافة، حكاماً ظلمة اذا لم يكونوا قد مارسوا القتل و الضغط على الامة، و الاّ فانطباق عنوان الظلم عليهم يكون من عدة جهات، فيترتب على كونهم ظلمة لغصبهم الخلافة من اصحابها الشرعيين لا يجوز أعانتهم على ظلمهم، ودعمهم و تثبيت حكمهم بشكل من الاشكال. فقد شدّد الأئمة (ع) على ذلك و أوضحوا أن أعانتهم ظلم

فقد: " روي عن جعفر بن محمد (ع) عن آبائه (ع) قال: قال رسول الله (ص): إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين أعوان الظلمة و من لاق لهم دواتا أو ربط كيساً أو مدّ لهم مدة قلم، فأحشروهم معهم "[٤].

فالقادة الشرعيون كانوا يحاولون قطع كل صلة بين الامة و الطغاة والتي من شأنها تذويب الامة في بودقة الحاكم.

بل انهم ارادوا من الامة، ازالة العواطف النفسية التي قد توجد عندها تجاه الحكام كما في رواية صفوان الجمال " قال: دخلت على ابي الحسن الاو

---

٢) الكافي. للكليني، ج١ ص٥٤٣.
٣) عقائد الاماميه: محمد رضا المظفر. ص١١٢.
٤) وسائل الشيعة، ج١٢ ص١٢٠.

(ع) ــ موسى الكاظمَ ــ فقال لي: يا صفوان ان كل شيء منك حسن جميل، مـــا خلا شيئاً واحداً. جعلت فداك اي شيء؟ أكراؤك جمالك من هذا الرجـــل ــ يعنـــي هارون ــ قلت: و الله ما أكريته اشراً و لا بطراً و لا للصيد و لا للـــهو و لكنـــي أكريته لهذا الطريق ــ يعني طريق مكة ــ و لا اتولاه بنفسي و لكن ابعـــث معـــه غلماني فقال لي: يا صفوان أيقع أكراؤك عليهم؟ فقلت: نعم جعلت فـــداك. قـــال: فقال لي: أتحب بقاءهم حتى يخرج كراؤك؟ قلت: نعم. قال : من أحب بقائهم فـــهو منهم و من كان منهم كان ورد النار. قال صفوان: فذهبت فبعـــت جمـــالي عـــن آخرها "[٥]

فأن هذا يدل على فصل الامة عن الحكام الظلمة الطغاة، فصـــلاً تامـــاً، و يجعل الامة ترفض الظلم رفضاً مطلقاً ومن اي جهة صدر.

و يترتب على ذلك، ان كل ممتلكات الدولة ليست بيد حكام الجور، و ليـس لهم حق التصرف فيها، و أنما هي للامـــام او لنـــائبه المـــجتهد والتـــي تســـمى بالمجهول المالك.

و يترتب على ذلك ايضاً، انه لا يجوز التصرف بممتلكات الدولة الاّ بـــأذن الامام، او نائبه المجتهد العادل، " فقد روي عن عبد العزيز بن نافع، قال: طلبنـــا الاذن على ابي عبد الله (ع) و أرسلنا اليه، فأرسل الينا: ادخلـــوا اثنيـــن اثنيـــن. فدخلت انا ورجل معي فقلت للرجل: احب ان تستأذن بالمسألة، فقال: نعم. فقـــال له: جعلت فداك، ان ابي كان ممن سباه بنو امية قد علمت ان بني امية لـــم يكـــن لهم ان يحرموا و لا يحللوا، و لم يكن لهم مما في ايدهم قليل و لا كثير، و انمـــا ذلك لكم، فأذا ذكرت الذي كنت فيه، دخلني من ذلك ما يكاد يفسد عليّ عقلي مـــا انا فيه. فقال له: انت في حل مما كان في ذلك..."[٦] ، فالسائل يبين ان كل ما فـــي أيدي الحكام، وهم بنو أمية، هو للامام والامام اقرّ ذلك. اذن، من هذا كله، يتضـــح فصل الامة عن الطغاة حكام الجور وعدم التعاون معهم، وربـــط الامـــة بالحكـــام

---

٥) وسائل الشيعة، ج١٢ ص١٣١.
٦) الكافي، ج١ ص٥٤٥

الحقيقيين وهم المجتهدون الواعون الأمناء. وهذا من شأنه أن يخلق للامة كيانـــاً مستقلاً عن الكيانات الجاهلية... كياناً مرتبطاً بالإسلام.

٢. حرمة التخاصم

ان القادة من أهل البيت، أوضحوا بشكل صريح حرمـــة التخـاصم عنـد الحكام الغاصبين وعند أجهزتهم، وان المال المأخوذ نتيجة هذا الـــترافع حـــرام، حتى لو كان حقاً،

" ففي مقبولة عمر بن حنظلة: سألت ابا عبد الله (ع) عـن رجليـن مـن اصحابنا، يكون بينهم منازعة في دين او ميراث، فتحاكما الى الســلطان او الـى القضاة، أيحل ذلك؟ قال (ع) من تحاكم الى الطاغوت، فحكم له، فأنما يأخذ سـحتاً، وان كان حقه ثابتاً، لأنه اخذ بحكم الطاغوت وقد امر الله عزّ وجلّ ان يكفر به..."[٧].

فهذا رفض لحكم الطغاة والظالمين ولو كان حقاً، وانما يكون الرجوع فـي ذلك الى الامام المعصوم، او نائبه المنصوب من قبله، الخاص او العالم، الذي هـو المجتهد في عصر الغيبة .

" ففي مقبولة ابي خديجة عن ابي عبد الله (ع) قال: قال لي ابو عبـد الله: اياكم ان يحاكم بعضكم بعضاً الى اهل الجور، ولكن انظروا الى رجل منكـــم يعلـم شيئاً من قضائنا فأجعلوه بينكم، فأني قد جعلته قاضياً فتحاكموا اليه" [٨].

ففي هذا رفض للظلمة، ولحكمهم، وربط بالقادة الحقيقيين والتحاكم اليهم، وهو فصل للامة عن الطغاة وعدم الاعتراف بهم مطلقاً.

٣. الاجتهاد

ان معرفة الامة قيادتها، والارتباط بها، والانقياد لها، والتفاعل معها، مـن اساسيات وجودها واستمرار مسيرتها ، فالقيادة المعصومة وجـهت الامـة الـى

---

٧) وسائل الشيعة، ج١٨ ص٩٩.
٨) في انتظار الامام: عبد الهادي الفضلي، ص١١٢.

قيادة ثانوية ترجع الامة اليها، وهم المجتهدون الواعون العـــدول، لأخـذ معـالم دينهم وأحكامهم منهم واتباعهم، فعن الامام العسكري (ع) انه قال:

" ... فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه،حافظاً لدينه، مخالفـــاً علـــى هواه، مطيعاً لامر مولاه، فللعوام ان يقلدوه "[9].

والمجتهد هو الذي يمارس عملية استنباط الحكم الشرعي، والذي يشـترط فيه الايمان والعدالة، بحيث لا يرتكب المعاصي التي تخرجه عـــن خـط الايمـــان وتجرح في عدالته. وايجاب الاجتهاد على الامة واجباً كفائياً، معناه: يجب علـــى الامة في كل عصر ووقت ان تهيء الاجواء والظروف المناسبة، لتكوين القيـــادة من داخلها، بحيث تكون هذه القيادة قادرة على بـذل الجـهد والتفـرغ لمعرفـة الاحكام الاسلامية والمواقف الاسلامية المناسبة، وان لا يخلو زمان مـــن وجـود مثل هؤلاء المجتهدين الساهرين على استنباط الاحكـــام والحفـاظ عليـها مـــن التحريف والطمس.

وأن وجوب الرجوع الى المجتهد لأخذ الاحكام ومعرفة مواقف الاســـلام، والذي يسمى بالتقليد، يجعل وجوب ارتباط الامة بقيادتها. ويجعل الامة مرتبطـــة بالمنبع الصافي والذي لا شوائب فيه، مهما كان البعـد الزمـاني عـن مصـادر التشريع، ومهما تمادى الباطل في غيّه. وحاول تحريف الاسلام وتشويه معالمـــه، فالامة لا تأخذ معالم دينها من الحكام المنحرفين وأعوانـــهم، ولا البـاطل قـادر للتأثير على القادة المجتهدين الذين ترجع الامة اليهم، لعمـق ايمانـهم ولتحذيـر الائمة (ع) من التعاون، او الركون الى الظلمة، او حتى زيارتهم والوقوف علـــى ابوابهم.

ولو فرض ان مجتهداً قد تأثر و أنخدع، او أنحرف، فمعنى ذلك انه فقـــد شروط القيادة و كمرجع للامة، فتكون علاقة الامة بالمرجع القائد، علاقـــة حيـة لاشتراط الحياة في التقليد، علاقة تلقي الطاعة فأن المجتهد يعتبر نائباً عن الأمـام

---

٩) الاجتهاد والفتوى: محي الدين الغريفي، ص ٤٠.

القائد المنتظر (ع) وممثلاً له ومداداً للأنبياء والائمة (ع) فقـــد ورد عــن النبـــي (ص):

" علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل " و " العلماء ورثة الانبياء" [١٠].

فأن مثل هذه الروايات، تعطي للعلماء دور القيادة في الامة وأنهم امتـــداد طبيعي للانبياء والائمة (ع).

والقيادة الاسلامية في عصر الغيبة – المجتهدون – جاهدت بكل ما تملـــك من جهد وثقل، وقدّم القادة أنفسهم في سبيل الحفاظ على الامة ومعالمها وعـــدم صهرها في بودقة الانحراف، لهذا تعرضوا الى كثير من الاضطهاد، فبعض شـــرّد كما حدث للشيخ الطوسي وأحرقت مكتبته، وكذا السيد عبد الحسين شرف الديـــن، وقسم آخر دخل السجون وبعض استشهد كما حدث للشـــهيد الاول والثـــاني[١١]... وقدموا للامة وحددوا فيها معالم الدين وأصوله، وشرحوا قواعد الاسلام وقرآنـــه، وحذروا الامة من الانخداع والسير خلف الطغاة، وكشفوا مخططاتهم.

فكانت هذه المؤلفات لها الدور الكبير في اســـتمرار الامـــة وتصاعدهـــا. إضافة الى الحصائل الفقهية التي كانت تصدر منهم باستمرار باعتبارها تمثل مـــا أستنبطه من أحكام الإسلام. أذن الارتباط بالقيادة، وأخذ الأحكام منها، و الانقيـــاد لها، يعطي حصانة للامة من الانحراف والتميع، ويأخذ بيدها الى النصر المؤزر.

ان الشعب الايراني المسلم البطل، ضرب اروع امثلة في الارتباط بقيادتـــه الحكيمة، قيادة الامام الخميني، فأن هذا الالتفاف والانقياد للقيادة المجتهدة، احـــد الدعائم في اسقاط نظام الشاه العميل، وكذلك استطاع هذا الشعب بأنقياده لقيـــاده الامام الخميني – رحمه الله – استطاع ان يسقط كل المؤامـــرات التـــي دبرتـــها الامبريالية الامريكية والنظم الرجعية في المنطقة للقضاء على الثورة و تفتيتـــها

---

١٠) الحكومة الاسلامية، للامام الخميني، ص٩٣-٩٤.

١١) وقد قدّم الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر دمه الشريف في سبيل الحفاظ علـــى الاسلام وعدم الخنوع للطغاة، ولتحريك الجماهير العراقية المؤمنة وإعادة الـــروح الجهادية لها، ولتضرب أعداء الله صدام الكافر وزمرته المجرمة، فكان مثالاً رائعاً للشهادة ونبراساً ينير الدرب للسائرين على نهجه.

وتمزيقها، بل ان كل حسابات الاستعمار في تفتيت وحدة الشعب الايراني المسلم البطل وفكه عن قيادته الحكيمة سقطت ولا زال هذا الشعب يضرب لنا اروع صور للتلاحم بين القيادة العلمائية – المرجعية – وبين الشعب.

واثبت الشعب العراقي البطل صموده وتحمله كل انواع الظلم والقهر والاستبداد وواصل ارتباطه بالمرجعية والقيادة الشرعية.

٤. الخمس

ان الامة عندما تعطى لها استقلالية، في وجودها وقيادتها وتعاملها ومنعها من الذوبان، والانحراف ضمن القيادات المنحرفة الظالمة، يتعين ان يعطى لها قدراً من المال، لسد احتياجاتها وتيسير امورها بنفسها، أي ان قيادتها الحقيقية هي التي تسير امورها، فالمال له دور مهم في الحفاظ على كيان الامة اذا استعمل في محله، ولهذا فقد اوجب الاسلام أخراج خمس مازاد على مؤنة سنة، ثم دفعه الى القيادة الاسلامية، والتي هي بدورها تصرفه في احتياجاتها التي هي رعاية الامة والحفاظ عليها وعلى الاسلام، من أي خطر سواء كان من الداخل او الخارج، ويصرف على النشاطات الاسلامية وعلى الدفاع عنها، وعن الاسلام وبناء مؤسساته وتشيدها.

اذن المقدار من المال الذي يعطى الى القيادة الاسلامية، يعطيها حصانة للحفاظ على وجودها واستقلالها، ولو كانت الامة تعيش في ضمن حكومة ظالمة متجبرة.

ثم هناك تأكيدات من القيادة المعصومة، على بعض المسائل التي تساعد في تحصين الامة، مثل وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتقية والجهاد في سبيل الله...

ان هذه الحقائق وغيرها، جعلت للامة استقلالية في ضمن الدولة المنحرفة بحيث تتميز في تعاملها مع حكام الجور والفساد، وأعطتها حصانة ذاتية.

والرجوع الى القيادة الاسلامية في عصر الغيبة، وأخـذ الاحكـام منـها، والاذن في التصرف بالمجهول المالك وفي الرجوع اليها في النزاعات والـترافع، و أعطاء حصة من المال تحت تصرفها، والانقياد لها، الى غير ذلك، يجعل للامة استقلالية واقعية، تمكنها من عدم الذوبان والاضمحلال بمرور الزمن، ثـم التـأكيد على هذه الحقائق جعلت حاجزاً نفسياً بين الانسان المسـلم، والحكـم المنحـرف الغاصب من كل جانب، ومن جانب آخر جعلت صلة بين الامة وقيادتها... صلـة انقياد وطاعة وحيوية وتفاعل، لانها منبع التشريعات الإسلامية التي تستنبط.

السبب المرحلي للغيبة

ان الأئمة المعصومين (ع) لهم دور مكمل ومتمم للنبي (ص) فأنه لم يكـن له الوقت الكافي لشرح أبعاد الإسلام التشريعية والفكرية والعقائدية. ففـي بدايـة الدعوة الإسلامية في مكة، كانت الدعوة مضيق عليها ومحاربة من قريش، وكـان الرسول القائد منهمكاً في تربية أصحابه واعدادهـم. والتشـريعات جـاءت بعـد الهجرة الى المدينة، وفيها انشغل المسلمون بحروب كثيرة متتاليـة. ولـم يكـن الصحابة يتحملون ذلك على وجه التفصيل، لان النبي (ص) كـان يقـوم بـدور التربية التي تصاحب العمل والتغيير الخارجي للمجتمع. ولهذا فالرسـول القـائد اودع علمه الى امير المؤمنين (ع) ثم الى الحسن، ثم الى الحسين، ثم... ثم الـى الامام المنتظر –عليهم السلام–.

و هذا الدور المكمل الذي قام به الائمة (ع) كان لكل واحد منهم دور يقوم به و مكمل لما قام به و أداه الذي قبله. و الدور الرئيسي الذي أوكل الى الامـام المنتظر (ع) لكي يقوم هو أدخاره لإنقاذ البشرية من التخبط الأعمى، و من الظلـم المتفشي، والوضع النفسي المؤلم والمنحدر نحو المادية، لإنقاذهم من ذلك وأتمـام العدل والسعادة في ظل حكم الله في الأرض، بإقامة دولة التوحيد الكبرى. وليـس هذا مقصوراً على فئة معينة من الناس، او مكان مخصوص، وانما هو معدّ لإنقـاذ البشرية كلها دون استثناء وفي كل بقعة، كما واضح من الروايات الـواردة عـن النبي (ص) والقادة المعصومين (ع).

ومعنى ذلك، انه يتعين على الامام المهدي (ع) ان يحافظ على نفسه من القتل، قبل اداء مهمته ودوره، و الاّ يؤدّي الى ضياع الدور الذي اوكل اليه، والذي أراده الله تعالى له.

ان الروايات التي صدرت من الرسول الأعظم، والقادة المعصومين، والتي تضمنت خروج رجل من ولد رسول الله، يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، كانت منتشرة بين المسلمين ومعروفة عندهم، ولذلك استغل كثير من الناس هذه الفكرة و أدعوا المهدوية، و كما استغلها العباسيون للوصول الى السلطة.

و لكن الروايات التي كانت تحدد القائم و ابن من، لم تكن منتشرة بشكل واضح عند كل الناس، وانما كانت منتشرة بين المؤمنين الخواص. ولهذا كان كثير من الناس يأتون الائمة (ع) فيسألون عن الامام القائد، من هو؟ ابن هو؟[12] لأسباب عديدة تتبين من خلال البحث.

ولكن مع ذلك، كان لمثل هذه الروايات وجود وتطرق مسامع الحكام العباسيين بين آونة واخرى. وهؤلاء الحكام لم يكن لهم الوضوح بشأن المهدي المنتظر هو ابن الامام الحسن العسكري لأدعاء كثير من الاشخاص المهدوية، و أدعاء البعض الاخر ان بعض الائمة (ع) او اولادهم هو المهدي المنتظر، كما ادعى بعض ان محمد بن الحنيفة هو القائم وانه غائب، وادعى البعض الآخر ان محمد ابن عبد الله بن الحسن (ذو النفس الزكية) هو القائم وأنه غائب[13]. وآخرون قالوا ان محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسن بن علي بن ابي

---

١٢) منتخب الاثر ص٢٨٨.
١٣) الملل والنحل، ج١ ص١٥٨-١٥٩.

طالب، أنه لم يمت وانه حي يرزق وانه يخرج فيملئها عدلاً كما ملئت جوراً وانـــه مهدي هذه الامة[14]... وكانت مثل هذه الادعاءات كثيرة.

فهذه الادعاءات شوشت على الحكام العباسيين، تعيين القائم، ولكنهم مـــع ذلك، كانوا يحتملون انه ابن الحسن العسكري (ع) فكانوا يضيقون علـــى الائمـــة (ع) بشكل عام وعلى الامام العسكري بشكل خاص، والائمة كـــانوا يعلمـــون ان الطغاة كانوا يتربصون الدوائر لمعرفة الامام المنتظر. ولـــهذا كـــانت كثـــير مـــن الروايات الواردة عن المعصومين تحرم ذكر اسم الامام المهدي .

فقد:" روى ابو هاشم الجعفري عن الامام الهادي(ع) انه قال: الخلف مـن بعدي ابني الحسن، فيكف لكم بالخلف من بعد الخلف؟ فقلت: كيف جعلـــت فـــداك؟ فقال لأنكم لا ترون شخصه ولا يحلّ لكم ذكر أسمه. قلت: فكيـــف نذكـــره؟ قـــال: قولـــوا الحـــجة من آل محمد (ص) "[15].

وشدد العباسيون على الامام العسكري (ع) وأوجسوا انـــه والـــد الامـــام المهدي (ع) فسجنوه مدة من الزمن[16].

ولم يكتف العباسيون، اعداء الاسلام، بهذا، بل حاولوا قتلـــه قبـــل ولادة الامام المهدي (ع) ولكن الله ابى الاّ ان يتم نوره، كما روي عنه (ع): فقـــد روى موسى بن جعفر بن وهب البغدادي، انه خرج مـــن ابـــي محمـــد العســـكري (ع) توقيع: " زعموا انهم يريدون قتلي فيقطعون هذا النسل وقد كذب الله عـــزّ وجـــلّ قولهم والحمد لله "[17].

وعندما ولد الحجة (ع) كانت ولادته مخفية، ولم يتعرف عليه الا الخواص من اصحاب الامام العسكري (ع)، فقد عرضه عليهم بعد ثلاثة ايام مـــن ولادتـــه. فعن: " ابي غانم الخادم، قال: ولد لأبي محمد الحسن مولـــود، فسـمّوه محمـــدا،

---

١٤) مروج الذهب ج٤ ص٥٣.
١٥) منتخب الاثر ص٢٢٦.
١٦) الغيبة، للشيخ الطوسي، ص ١٢٣.
١٧) اكمال الدين، للصدوق، ص٣٨٥.

فعرضه على اصحابه يوم الثالث، وقال: هذا امامكم من بعدي وخليفتـــي عليكـــم، وهو القائم الذي تمتد عليه الاعناق بالانتظار... "[18].

وقد شدد الإمام العسكري (ع) على كتمان ولادة الحجة.

فقد: " روى احمد بن الحسين القمي، قال: لما ولد الخلـــف الصـــالح (ع) ورد عن مولانا ابي محمد الحسن بن علي (ع) على جدي احمد بن اسحاق كتـــاب واذا فيه: ولد لنا مولود فيكن عندك مستوراً وعن جميع الناس مكتوماً، فأنا لـــم نظهر عليهم الاّ الأقرب لقرابته والولي لولايته. احببنا اعلامك ليسرّك الله بمثل ما سرّنا به، والسلام. "[19].

فأن هذه الرواية، تدل على حرص الإمام العســـكري علـــى كتمـــان ولادة الحجة، والذي ينم عن شدة التحرك العباسي لمعرفة الحجة وقتله.

وأشتد ضغط العباسيين على الامام العسكري (ع) مما دعاه الـــى تقســـيم ميراثه وهو حي ليوهم الحكام انه لم يخلف ولداً، " فقـــد روي عـــن احمـــد بـــن ابراهيم قال: دخلت على خديجة بنت محمد بن علي الرضا اخـــت ابـــي الحسَـــن (الهادي) صاحب العسكر في سنة اثنين وستين ومأتين بالمدينة... فســـألتها... [وساق الحديث الى ان سأل عن الحجة] فقال لها: فأين الولد؟ قـــالت: مســـتور... الى ان قالت: أنكم قوم اصحاب اخبار ورجال وثقات، أما رويتم ان التاسع من ولد الحسين يقسم ميراثه وهو حي باق؟"[20]. وتفاقم ظلم العباسيين للامام (ع) بالضغط عليه فعندما مرض (ع)، امر الخليفة الغاصب جمعاً من اصحابه ان لازموا الامـــام العسكري[21]. كل ذلك لأجل القبض على الامام القائم (ع).

فعندما توفي الامام العسكري (ع) بعث الخليفة الى دار الامام من يفتشـــها ويختم على جميع ما فيها وسئل عن ابن الامام. وفتش جواري الامام، وشكّ فـــي

---

[18] منتخب الاثر ص٣٤٢.
[19] منتخب الاثر ص٣٤٣.
[20] نفس المصدر ص٢٣٦.
[21] اكمال الدين ص٤١.

حمل أحداهن فحجزوها و أوكل عليها نساءاً ليتحقق من هـذا الحمـل واسـتمر سجنها سنتين[٢٢]!

ولم تقف الملاحقة لعائلة الامام بعد وفاة الامام العسكري، بـل اسـتمرت واشتدت الرقابة على دار الامام، فكبست الدار عدة مرات، وكان فيها مكان سري، ولكنهم في كل مرة لم يعثروا على شيء[٢٣]. وقد كبست دار الامام، بعـد اخبـار جعفر الكذاب بوجود الامام الحجة، وجاء عملاء السلطة الحاكمة وفتشوا الـدار ولكنهم باءوا بالفشل، فاخذوا جارية من جواري الامام ليضغطوا عليها لكي تدلهم على الامام المهدي (ع)، ولكنها وقفت موقفاً بطولياً ذكياً فـأدعت انـها حـامل بالامام! فأخذوها وسجنوها ولكنها هربت بعد اشتداد الحرب بين الحكام وصـاحب الزنج[٢٤].

ولاحق الحكام العباسيون الامام القائم، عـن طريـق نوابـه وسـفرائه. فراقبوهم وشددوا عليهم، ولهذا كانوا يتخذون بعض المهن تغطيـة لجـهادهم[٢٥] وتصاعد الضغط حتى وصل الى سجن بعضهم[٢٦].

هذا ما كان عليه الحكام العباسيون، تجاه الامام المنتظر (ع) و اسـتماتتهم في قتله، ولكن الله ابى الاّ ابقائه حياً مدّخراً، لذلك اليوم الموعود.

والى هذا الوضع الإرهابي السائد، في تلـك المرحلـة، كـانت الروايـات الواردة من الأئمة (ع) ناظرة في سبب الغيبة، وهو الخوف من القتـل. وبعبـارة اخرى ان الروايات التي تقول ان سبب الغيبة هو الخوف من القتل، نـاظرة الـى تلك المرحلة والفترة التي كان العباسيون يرقبون الإمام القـائد لقتلـه والقضـاء عليه، فكانت غيبته، وهو السبب المرحلي للغيبة.

---

٢٢) اعيان الشيعة، قسم٣، ج٤ ص٣٣٦.
٢٣) منتخب الاثر ص٣٧١.
٢٤) نفس المصدر ٣٦٨.
٢٥) نفس المصدر ٢١٤.
٢٦) الغيبة، للطوسي، ص١٨٧.

اذن تطبيق النظام الاسلامي في مكان ما، معناه قلب الموازين والمعـــايير الموجودة، والتعاملات والتصورات، وتغييرها وفق النظام الاسلامي فـــهو تغيـــير جذري للدولة والمجتمع وللفرد. وهذا اذا كان في مكان ما، فكيـــف اذا تصورنـــا تطبيق النظام الاسلامي على العالم في جميـــع بقـــاع الارض... شـــاملاً جميـــع الناس؟... معنى ذلك، أنه يكون تغييراً شـــاملاً وجذريـــاً، للـــدول وللمجتمعـــات الانسانية، وللسلوك البشري الاجتماعي والفردي، بل حتى عواطفهم. لهذا أدّخـــر الامام القائد.

هذه العملية، لا تحدث بأن يقوم الامام القائد بغزو عسكري معزز من قبـــل السماء، وبسط سيطرته على الارض، لانه بهذا لا يتحقق النظام الاسلامي بشـــكل كامل وتام، و إنما لابدّ من استعداد للناس، كل الناس. وهنا يبرز معنى أطروحـــة الغيبة.

ان البشرية، عبر التاريخ وعلى مر العصور، قاومت الظلم ولم ترض بـــه وسعت بنحو من انحاء السعي، نحوَ نظام يحقق لها السعادةِ التي تنشدها.

فالثورات عبر التاريخ البشري – وخصوصاً الشعبية منها – تنفجر عنـــد تفشي الظلم وحصول اليأس من النظام السائد، تتفجر لتحقيق سعادتها واهدافها.

والبشرية تتجه في سيرها المسار المادي بعيدة عن الدين وعن الجـــانب الروحي، منغمسة في مادياتها لبناء حضارة شامخة متقدمة، متصورة انها ســوف تحقق لها السعادة المنشودة.

ولكن هذه الحضارة لا تحقق لها ما تصبو اليه، وما تبتغيه. وانمـــا تزيـــد البشرية يأساً وقلقاً، سنة بعد سنة، ويوماً بعـــد يـــوم، لعـــدم اروائـــها لحاجـــات الانسان. وتستمر في ذلك الى ان تصل البشرية الى حالة من اليأس مـــن النظـــم السائدة... فتغير الشعوب ذلك النظام، عسى ان تحصل على سعادتها و اهدافـــها. ويسير النظام الجديد الوضعي بنفس المحتوى – وهو الانحدار نحـــو الماديـــة – وبعيداً عن حاجات الإنسان الأساسية وإشباعها، فتزداد البشرية يأساً وقلقاً...

وهكذا تسعى البشرية في سيرها نحو تحقيق سعادتها وأهدافها، الـــى ان تصل الى مرحلة اليأس من الحضارة المادية – مهما بلغت هــذه الحضــارة مــن شموخ وضخامة – واليأس من جدوى وصلاحية الأنظمة الوضعية لتحقيق ســعادة الإنسان.

وتكون البشرية في هذه المرحلة متطلعة الى السماء، عسى ان تمدّهـــا و تنقذها من وضعها القلق المزري المأساوي، وتأخذ بيدها الى شـــاطئ الســعادة، بعيداً عن صخب الحضارة المادية ومتناقضاتها.

فأذا شعرت البشرية بإمداد السماء بظهور الإمام المنتظر، تكون البشــرية مستعدة لرفع يدها، عن حضارتها التي بنتها على مرّ السنين، و تغيــير وضعــها تغييراً جذرياً مهما كلف من ثمن.

وهذا معناه ، ان الارضية صالحة لتطبيق الإسلام في هذه الحالـــة وهــي التي سميناها بأطروحة الغيبة. فأذا وجدت هذه الحالة مع الظروف الموضوعيـــة الأخرى – كوجود أشخاص مؤيدين ومناصرين للإمام ليكونوا قادة وجيشاً عنده – عند ذاك، تكون الظروف الموضوعية، قد تهيئت لبـــدأ الامــام القــائد، عمليتــه المنشودة.

وأقرب مثال لهذه الفكرة ظهور النبي محمّد (ص)، فعنـــد ظــهور بعثتــه (ص)، في الجزيرة العربية، كان الناس يعيشون في ظروف نفسية تقبـــل بعثتـــه، فأنهم كانوا يرقبون ظهور نبي ويتطلعون الى ذلك .

فاليهود كانوا يعيشون مثل هذه الحالة المترقبة، وكذا النصرانيـــة تبشــر كتبهم بظهور نبي، وكذلك الوثنية، كانت تترقب مثل هذا الظهور.

ومن يراجع كتب التاريخ قبل البعثة وحين بزوغها، يلمس هــذا الشــعور بشكل واضح.

كذلك البشرية عند انطلاق القائد، تعيش حالة نفســية منهزمــة، وحالــة نفسية قلقة، وحالة مترقبة لنظام ينقذها، حالة نفسية منهزمة من كل الحضـــارات والأنظمة الوضعية، والتي كانت مصدر قلقها وتعاستها وتعقيدها، حالة مترقبــة...

تترقب من السماء مدّ يد العون لها، لإنقاذها من وضعها التعيس، والاخـذ بيدهـا نحو حكم يحقق لها سعادتها، ويعود بها الى شاطئ الأمان. فأنه قد ورد في بعض الاخبار، بعد قساوة القلوب والانغماس في المادية، يلجأ الناس الى حرم الله وحرم رسوله[٢] وهو اللجوء الى الله ورسوله، لأنه يكون الملجـأ الوحيـد الـذي ينقـذ البشرية من وضعها المنهك.

وفي هذه الحالة التي تحصل عند البشرية من الانهزام النفســي، وعـدم الثقة بقدرة الأنظمة الوضعية، فتطلع الى السماء لتمد لها يد العون، فلا يحصـل هذا التطلع الى السماء، الاّ اذا كان هناك جهاز اعلامي إسلامي صحيـح، يعكـس الحلول الاسلامية للانظمة الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية، ويكـون هذا الأعلام منسجماً مع تطلعات البشرية. ولابد ان يكون هذا الاعلام مكثفاً ليصـل الى جميع بقاع العالم، لتتطلع البشرية كلها اليه، وهو يكون من خـلال وسـائل اعلام عالمية عادة كالإذاعة والتلفزيون والصحف والكتب والمجـلات و وكـالات أنباء، وقيام المؤمنين بجولات في أنحاء العـالم لعكـس وجهـة نظـر الإسـلام وصلاحيته لإسعاد البشرية... الى غير ذلك من طرق الدعاية والأعلام.

ومثل هذا الاعلام الذي يراد ايصاله الى اكثر بقاع العـالم، يكـون عـادة بوجود دولة إسلامية تأخذ على عاتقها ذلك، وأيصال صوت الإسلام الى أسـماع الناس ليتطلعوا إليه. بالإضافة الى ان وجود دولة اسلامية، تكون سـنداً للعمليـة التحررية التي يقودها الإمام القائد.

اذن الأطروحة هي ان يحصل للبشر، حالة الانهزام النفسي، من الأنظمـة الوضعية والحضارات، وتتطلع الى السماء لإنقاذها من سيرها التائه.

---

٢) راجع البحار، ج٥١ ص٣٦٥.

الأطروحة المقترحة[1]

ان تطبيق الاسلام كما ذكرنا سابقاً، ليس دستوراً يسجل وتلتزم به الدولة من دون الالتفات الى الناس وميولهم ومعتقداتهم وسلوكهم. وانما هو التزام الناس بالنظام الذي تكون العقيدة جزءاً منه ولا فصل بين العقيدة والنظام الاسلامي.

فكما ان النبي (ص) لم يرسل قبل زمان بعثته وتأخر قروناً بعد آخر بعثة من السماء وبعد ارسال الرسل والانبياء، كل ذلك لأن العقليّة البشرية بعدُ لم تكتمل، أي انها لم تصل الى حد النضج وتحمل مسؤولية الاسلام. فأن البشرية في سيرها الزمني يكتمل نموها العقلي والادراكي، وفي زمن البعثة المحمدية كانت البشرية قد وصلت الى مرحلة من النضوج والادراك، بحيث يمكنها من تقبّل الاسلام وإدراكه ومحاسبتها وفق منهاجه وقوانينه.

كذلك، في تطبيق النظام الاسلامي على كل الارض، تحتاج البشرية الى نمو ونضوج في التطبيق ، في تطبيق الاحكام والالتزام بها دون استثناء.

وهذا النمو يحصل من خلال ممارسات وتطبيقات انظمة وضعيّة او اسلامية ولو جزئية... فأن البشرية خلال سيرها وتطورها بدأت تطرح أنظمة وضعية لتنظيم حياتها وقامت محاولات لتطبيق هذه الانظمة، ثم تبين فشل هذه الانظمة في تحقيق أهداف البشرية.

... وتشرع أنظمة أخرى اكثر دقة وشمولاً من قبلها وتقوم بتطبيق هذا النظام الجديد... وهكذا تستمر البشرية في تطوير الأنظمة نظرياً، ومحاولات تطبيقها عملياً.

---

[1] ان هذه الأطروحة لم اعثر لها مؤيد وشاهد بين الروايات في حدود اطلاعي: ولهذا تكون مقترحة.

ومن خلال هذا التطبيق، يحصل لها نضج في التطبيـــق والقابليـــة علـــى الالتزام بنظام شامل لكل سلوك الانسان.

ومن الواضح ان الانسان الذي لم يمارس تطبيق نظام والالتزام به، يحتاج الى ترويض وتهيئة لكي يكون قادراً على تطبيق النظام والاستمرار عليـــه. فـــأن تطبيق النظام الاسلامي في الارض على يد الامام القائد ليس هو المطلوب فقـــط. وأنما المطلوب ايضاً الاستمرار في تطبيق النظام الاسلامي، مـــن دون نكســـات والعيش تحت ظلّه بسعادة و سلام.

أذن تطبيق الاسلام في جميع نواحي الحياة و في كل بقعـــة مـــن العـــالم بحيث يتغلغل الى أعماق الفرد و المجتمع.

هذا التطبيق الذي يكون كل فرد مطَبق لأحكام الاسلام و متعـــاملاً معـــها تعاملاً ايجابياً بشكل عام، لكي ترسل السماء بركاتها و تفتح الارض خيراتـــها ـ كما جاء في الروايات ـ مثل هذا، يحتاج الى ترويض النـــاس علـــى التطبيـــق و نضوج في تطبيق الانظمة.

فأذا وصلت البشرية الى مرحلة النضج و القدرة علـــى تطبيـــق الاســـلام بشكل كامل من دون نكسات، فقد تهيأت البشرية لظهور الامام القـــائد، و تكـــون الظروف الموضوعية لبدأ عملية الامام المنتظر، قد تحققت، مع تحقـــق الشـــروط الاخرى لها: و هي وجود عدد كاف من المؤمنين لاعتماد الامام القائد عليهم فـــي عمليتة التغيريّة للعالم.

دور الأمة في عصر الغيبة

لاشكَ انّ تحديد دور الامة في هذه المرحلة، من الصعوبة بمكان، و لكنني هنا احاول أن أحدد بعض معالم دورها:

إن الامة في عصر الغيبة الكبرى و التي فيها احتجب الامام القائد عنـــها، هذه الامة مدعوة لتحقيق حكم الله تعالى:

﴿ و نُريدُ أنْ نَمُنَّ عَلَى الّذينَ استُضْعِفوا في الأرض وَ نَجعَلَـــهُم أئمةً وَ نَجعَلَهُمُ الوارثين ﴾.

وتحقيق حكم الله في كل الارض، قد تكفل الله تعالى تحقيقه على يد الإمـــلم المنتظر (ع).

ومن الواضح، ان تحقيق هذا الهدف ــ و هو حكم الله فـــي الارض، كـــل الأرض ــ منوط بظهور الإمام القائد، و مرتبط بتحقيق الظـــروف الموضوعيـــة خارجا لظهور الإمام القائد. فمتى تحققت الظروف الموضوعية لظهور الإمـــام و أذن الله تعالى للإمام بظهوره، يبدأ الإمام القائد عمليته التغييريـــة و الشـــاملة. و الظروف الموضوعية هي وجود العدد الكافي من الامة ليكونوا جنوداً للقائد فـــي عمليته التغييرية، و تهيؤ البشرية لقبول الإسلام و رفـــض الأنظمـــة الوضعيـــة بحضاراتها.

اذن فالامة مدعوة الى تعجيل ظهور الامام، و ذلك من خلال السعي لايجاد الظروف الموضوعية خارجا. و هذا يتحقق ضمن العمل بنقطتين:

الأولى: الارتباط بالقيادة و التفاعل معها.

الثانية: الجهاد المتواصل.

١. الارتباط بالقيادة و التفاعل معها

الأمة في هذه المرحلة ــ و خاصة هي مرحلة فتن و ابتـــلاء و امتحـــان مرحلة غياب القائد المعصوم عنها ــ لم تـــترك لوحدهـــا، و انمـــا عيّـــن القـــائد المعصوم قادة للامة يتعاقبون على قيادتها. و كان ذلك من خلال مواصفات ذكرهـــا المعصومون:

" من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً على هواه مطيعـــاً لامر مولاه فللعوام ان يقلدوه ".

والقائد في هذه المرحلة، هو المجتهد الأعلم الواعي الذي يكـــون مؤهـــلا لقيادة الأمة و توجيهها، بحيث يرعى شؤونها و يحدد لها دورها في مرحلتـــها، و يقوم بدور الامام المنتظر كما لو كان موجوداً ضمن قابليات المجتهد. و لهذا يعتبر هذا القائد وكيلا عن الامام المنتظر (ع) و واجهة له. و هذه تعطي للقيادة في هـذه المرحلة، قدسية دينية كبيرة، إضافة الى كونه مصدراً لإعطاء الأحكام الاسلامية.

فتكون القيادة الإسلامية في هذه المرحلة تحمل مواصفات القيادة الوضعية التي هي ناتجة من التجارب و العمل و الممارسة، كذلك تكون القيـــادة الإســـلامية مرتبطةً ارتباطاً وثيقاً بالدين الذي هو الاساس عند الامة. بل ان الانقيـــاد لـــهذه القيادة الإسلامية والارتباط بها جزء من الدين و هذا مـــا يظفـــي عليـــها طـــابع الشرعية. و الإسلام لم يجعل القيادة الإسلامية معزولة عن الامة وبعيـــدة عنـــها، بحيث لا تعيش آلامها و مشاعرها، بل ربط الامة بها ربطا وثيقا من خـــلال ربـــط الامة بالدين. فانه لما كانت الأمة مدعوةً للالتزام بالإسلام و تعاليمه، عليها أخـــذ معالم دينها من القيادة وهو وجوب التقليد:

" يجب على المكلَّف الذي لم يبلغ رتبة الاجتهاد، أن يكـــون فـــي جميـــع عباداته ومعاملاته وسائر افعاله وتروكه مقلّدا "[1]

وشرط الحياة في وجوب الرجوع الى القيادة، يجعل الارتباط بها ارتباطـــاً حيّاً، اي ان القائد الذي يجب تقليده لابدّ من ان يكون بين الأمة، يتحسس آلامـــها وآمالها ومشاركتها في أفراحها وأتراحها.

انَّ اعداء الاسلام، حاربوا الاسلام والمسلمين بطرق متعـــددة متواصلـــة، وخاصة الاستعمار وأعوانه، فأنهم حاولوا فصل الاسلام عن المســـلمين، وحصـــر الاسلام في الامور العبادية الخاصة التي تربط الإنسان بالله تعالى. فأن الاســـتعمار كرّس جهوده و وضع ثقله لفصل الدين عن السياسة، وحاول غرس مفهوم " مـــا لله فهو لله وما لقيصر لقيصر " ودعم مفهومه هذا بما حدث للمسيحية التي فصلت فيها الكنيسة عن الحكم والسياسة.

وحشد اعداء الاسلام جهودهم المكثفة، لفصل الامة عن قيادتـــها فصـــلاً كلياً، ولكن هذا الفصل لا يمكن احداثه الاّ اذا تخلت الامة عن الاسلام تخلياً كليـــاً، لان من واجبات المسلم التقليد والرجوع الى المجتهد القائد.

وحينئذ حاول الاستعمار على تكريس جهوده لجعل الارتباط بيـــن الامـــة وقيادتها الاسلامية ارتباطاً محدوداً وضيّقاً وشكلياً، وهي الأمور العبادية الخاصـــة المتعلقة بالتعامل مع الله تعالى – كالصلاة والصوم والحـــج – وقوانيـــن الأحـــوال الشخصية كالزواج والطلاق و...

وهذا الفصل والنوع المحدود من الارتباط بالقيادة الاسلامية، قـــد حقّـــق الاستعمار شيئاً من النجاح، ولكن المرجعية الواعيـــة، وأفـــراد الامـــة الواعيـــن، والعلماء العاملين، كرّسوا جهودهم لتصحيح هذا الارتباط وجعله ارتباطاً كلياً.

---

١) منهاج الصالحين ــ للسيد الحكيم ج١ ــ ص٣.

فالمجتهد الاعلم يكون نائباً عن الامام القائد ومعيّناً من قبلـــه، ومنصبُـــه منصب الامام. فالامة مدعوة للارتباط به، كما لو كانت مرتبطة بالامام المعصـــوم، فدوره نفس دور الامام، إلاّ ما يكون خاصاً بـــالمعصوم، بأعتبـــاره معصومـــاً، لا بأعتباره قائداً للامة. وهذا ما يعرف بولاية الفقيه.

اذن الرجوع الى القيادة الاسلامية، ليس في امور العبادة فقط، وانما أعـــمّ من ذلك. والامة اذا ارادت النمو والتصاعد، عليها الارتباط بالقيـــادة الاســـلامية و اخذ توجيهاتها منها.

ثم ان أعداء الإسلام قد شعروا بخطر القيادة الاسلامية وفشلوا في فصـــل الامة عنها فصلاً كلياً ، بدأ اعداء الاسلام التربص للقضاء على القيادة الاســـلامية بشكل وآخر، فألصقوا بها التهم كأرتباطها بالاستعمار... والرجعية و... كل ذلـــك تمهيداً للقضاء عليها وفصل الامة عنها.

والامة اذا ارتبطت بقيادتها، والتفتت حولها، وكان ارتباطها ارتباطاً حيـــاً، ومنقادة لها، ومتفاعلة معها، تفاعلاً ايجابياً، كل ذلك يمنع اعـــداء الاســـلام مـــن ضرب القيادة الاسلامية وبالتالي ضرب الامة خوفاً من الامة نفسها.

فأن ايّة امة اذا فقدت قيادتها الواعية، سوف تتخبط في سيرها، وبالتـــالي تتميع وتنصهر وتذوب ولا يبقى لها اي كيان و وجود.

وبالإضافة الى ان القيادة الإسلامية الواعية هي مصدر الإشعاع الفكـــري المتطور فضلا عن كونها مصدراً للاحكام الإسلامية... فيجعل ارتباط الامة بالقيـــادة الاسلامية ارتباطاً بالإسلام، ارتباطاً بالأحكام، ارتباطاً بالفكر الإسلامي الشامل.

وهذا مما يجعل تصاعد الامة، كلما تصـــاعدت قيادتـــها، والعيـــش علـــى مستوى العصر والمسؤولية.

ثم ان هذا الارتباط، يحقق وحدة الامـــة وعـدم تفتتـها وذوبانـــها فـــي لمجتمعات المنحرفة الجاهلية. فألتزامها بتوجيهات القيادة الاســـلامية، و العمـــل عليها والتطلع اليها، يجعل مواقف الامة موحدة تجاه قضايا الحياة على اختلافـــها. وهذا مما يجعل لها كياناً مستقلاً عن اي كيان آخر، فأن مـــن جملـــة مخططـــات الاستعمار واعداء الاسلام هو تفتيت الامة وتشتيتها، و خلـــق الصراعـــات فيمـــا بينها، وهذا الارتباط يقطع دابر الاستعمار ويجعل للاسلام كلمة مسموعة ومخيفـــة من خلال هذه القوة.

اذن، يتبين ان ارتباط الامة بالقيـــادة الاســـلامية، يقـــرب لنـــا الظـــروف الموضوعية لبدأ عملية الامام القائد، التحررية، وذلك من خـــلال نمـــو الامـــة و خاصة افرادها الواعين، ومن خلال ارتباطها بمنبع الفكر الإســـلامي و الأحكـــام، ومن خلال تكوين قوة نتيجة لوحدة الأمة، بحيث يكون من خلالها إيصال صـــوت الإسلام إلى بقاع العالم.

٢. الجهاد المتواصل

ان كل امة لا يقدر لها البقاء مالم تتطلع الى تحسين اوضاعـــها وتحقيـــق اهدافها، لأنها لو لم تكن كذلك، فأنها سوف تنصهر وتـــذوب تدريجيـــاً، بحيـــث لا يصبح لها كيان مستقل.

فالامة الاسلامية، لولا جهادها المتواصل وعطائها الدائم مع النبـــي (ص) لما كتب لها الوجود.

وأستمر الجهاد وأستمرت التضحيات واستمر العطاء بعد وفـــاة الرســـول الاعظم (ص) فأستطاعت الامة من ايجاد كيان مستقل لها، رغم محاربـــة البـــاطل لها، حتى وصل به الحال الى توجيه الضربات المميتة للامة ولقيادتها.

ومع كل هذا، استمرت الامة في نموها وتصاعدهـــا وعطائـــها، متحديـــة الباطل بكل قواه وأساليبه.

ونعني بالجهاد هنا كل أنواع الجهاد ونحصره تحت ثلاثة عناوين:

١. جهاد النفس.

٢. العطاء المتواصل.

٣. الجهاد التطبيقي.

١. جهاد النفس

ان الامة تتكون من افراد المجتمع، وهم يعكسون وجه الامة، فالامة تكون واعية اذا كان افرادها واعين، والامة تكون سليمة اذا كـــان افرادهـــا ســـليمين، والامة تكون منحرفة اذا كان افرادها منحرفين... وهكذا.

اذن، فالانسان المسلم الذي يشكل لبنة من لبنات هذه الامة، مدعو لتطوير نفسه من خلال التعامل مع الاسلام وأحكامه وأفكاره وتصوراته. ومن خلال تهذيب نفسه من الشوائب التي تعوق تصاعده ونموه، كحبّ الذات والهوى والإنشداد الـــى الدنيا وملذاتها...فأن هذه الامور، قد تبدأ عند الانسان بداية صغيرة لا يشعر بـــها، ولكن بمرور الزمن تنمو وتستفحل الى ان تؤدي بهذا الانسان المؤمن، الى انســـان متعصب لرأيه منحاز في تفكيره لنفسه يفكر من خلال مصلحة نفســـه و وجـــوده. وهذا مما يجعل الامة متفتتة، متفككة، منحلة، منشغلة بصراعات داخلية بعيدة عـــن مجابهة الباطل وكشفه، وهو ما يسعى اليه اعداء الاسلام وخلق النزاعات داخـــل صفوف الامة.

بينما لو التفت الانسان المؤمن الى نفسه، وأخذ يهذب غرائـــزه ويقـــهر نفسه ويجعل حبَّه لله وللاسلام، على حبه لنفسه واقعاً ملموساً لا قولاً فقط، ويجعل حبَه لأخيه، كحبه لنفسه عملاً لا قولاً، وأخذ يطور نفسه ويجاهدها، ويجعلها طيعة

له آخذ بزمامها لما فيه مصلحة الاسلام ولما فيه مصلحة الامة، ولا يطلق عنانـها بحيث تؤدي به الى ان تكون هي المسيطرة عليه، وعلى تفكيره وسلوكه، حتـــى يصل الانسان المؤمن الى ان يجعل هواه تبعاً لطاعة الله تعالى، أي ان طاعـــة الله والجهاد في سبيله هو ما تبتغيه نفسه وتهواه: فيكون المؤمنون كالجسد الواحـــد اذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الاعضاء بالسهر والحمى.

٢. العطاء المتواصل

إن احد عناصر نموّ الامة و تكاملها و تصاعدها، هو تفاعلها مع الافكـــار الاسلامية و تصورتها. و كلما كان الفكر الذي تتعامل معه الامة فكـــراً معمقـــاً و متصاعداً ، كلما كان تصاعد الامة و نموها أكثر، و كلمـــا كـــان الفكـــر واعيـــاً و مسؤولاً، كانت الامة اكثر وعياً و مسؤولية.

و الامة من خلال سيرها، تصاعدت تصاعداً ايجابيا مع الفكر الاســـلامي و مع فهمها للاسلام. و هذا يكون واضحا مما قدّمته الامة من افكار اسلامية، مـــن خلال المراحل التي مرت بها.

فالامة استلمت رصيداً فكرياً ضخماً من النبي (ص) و الائمة (ع) و لكـــن الامة تفهم من هذا الرصيد بقدر وعيها و نضجها.

فالجيل الذي جاء بعد الغيبة الصغرى، و في بداية الغيبة الكـــبرى، قـــدم افكاراً وتصورات اسلامية. و من الطبيعي ان هذا التقديم كان من علماء الامـــة، و من افرادها الواعين، و كان هذا الفكر و الفهم محصوراً بتلك المرحلـــة، و تلقـــاه الجيل الذي بعده و تفاعل معه، و قدم افكاراً أعمق منها، بعد ان استوعب المرحلة السابقة و أعتمد عليها، ثم جاء الجيل الثالث، و تفاعل مع الافكـــار و تصـــاعد، و

قدّم فكراً و تصوراً أوسع و أعمق من سابقه. و هكذا أستمرت الامة في تصاعدها و نموها و عطائها،

و بعبارة اخرى، إن الامة عندما تتسلم فكرا، قدمه لها الجيل السابق، فأن تفاعلت معه و استوعبته و تمثلته عند ذاك تعطي حصيلة هذا العمل و التفاعل فكراً أعمق و أشمل و أكثر وعيا من سابقه. و هكذا تستمر هذه العملية في كل جيل من الاجيال، الى ان تصل الى جيل_ايماني عميق، يكون هذا الجيل مؤهلا و قادراً على تمثل الدور القيادي،في عملية التغيير الجذرية والشاملة تحت قيادة الامام المنتظر(ع).

اذن الامة مدعوة و خاصة الطليعة الواعية منها، ان يقدّموا الافكار الاساسية الاسلامية و تصوراتها من خلال الكتابات.

و اما نوعية الكتابات و الافكار التي تطرح، هي ما تحتاجه الامة في المرحلة التي تعيشها، فأذا كانت الامة ـ مثلاً ـ تعيش في مرحلة صراع مستميت مع اعدائها، تحتاج لحشد الطاقات و أستفراغ الجهد لمجابهة العدو، تحتاج الامة في هذه المرحلة، فكراً اسلامياً حيوياً، بحيث يعطي للامة اكثر حيوية و تحركاً و أندفاعاً، كطرح مفاهيم الجهاد و المسؤولية، و القيادة الاسلامية، و الامر بالمعروف و النهي عن المنكر، و الشهادة و... و تصحيح بعض المفاهيم التي تحملها الامة، كالتقية و التقوى و الانتظار و... و إعطاء الامة صور امجادها المجاهدين الذين ضحوا في سبيل الدين. فأن كل هذا يعطي للامة زخماً و أندفاعاً نحو هدفها و تقديم تضحيات أكثر في سبيل دينها.

و الافكار التي تحتاجها الامة من حيث عمقها و أستيعابها، ليست الافكار العميقة و الشاملة فقط، لأن في الامة مستويات متفاوتة، و لهذا تحتاج الامة الى إعطاء مفاهيم و أفكار على شتى المستويات.

و كلما تعدد الاسلوب في العطاء و في تقديم الافكار، كلمـــا تغلغـل فـي اعماق الامة، لأن تقبُّل الامة للافكار ايضاً مختلف.

اذن النتيجة هي أن العلماء و الافراد الواعين من الامـــة، مدعـوون لأن يتلقوا الحصيلة الفكرية للاجيال السابقة، و تفهمها و التعامل معها و أستيعابها، ثم بعد ذلك تطويرها لتقديمها الى الامة، و الى الجيل القادم، ليكون سُلَّم رقي الامـــة في ايمانها متناسقاً و متلاحقاً .

و كلما كثر تقديم الافكار الاسلامية لجيل من الاجيـــال، و كـــان شـــاملاً و عميقاً، يعتبر في ذلك الجيل قفزة نحو الامام، نحو تحقيق الهدف.

و العطاء ليس مقتصراً على اعطاء الافكار الاسلامية و أنما ايضاً، كشـف مخططات الاعداء و تسليط الانوار عليها و بيان زيف و بطلان الافكار الجاهليـــة، و بيان حقيقتها لمنعها من التغلغل في صفوف الامة، الى غير ذلك ممـــا تحتاجـه الامة في سيرها النامي و جهادها العقائدي.

٣. الجهاد التطبيقي

و أقصد بالجهاد التطبيقي السعي لتطبيق أحكام الاسلام خارجـــاً . و مـــن ضمنها السعي لتحقيق دولة اسلامية.

ان كل فرد من افراد الامة الاسلامية، مدعو لتطبيق الاسلام و السعي الـــى ذلك، لتطبيق الاسلام على نفسه و تحكيم الاسلام في حياته، مـــن دون فصـــل، أي ليس من الصحيح فصل بعض الاحكام عن الاخرى ــ و هو العمل ببعض الاحكـــام و تحكيمها و ترك الاحكام الاخرى ــ فأن ذلك من ضعف الشخصية و النفاق.

و السعي ايضاً الى تطبيق الاحكام، في الامور العامة التي تخص الاخرين: و لهذا فتح باب الامر بالمعروف و النهي عن المنكر.

و بعبارة اخرى، أن الفرد المؤمن ليس مقتصراً في جهاده علـــى تطبيــق الاحكام الاسلامية على نفسه، بل هو مدعو لجهاد أوسع و أشمل بالاضافـــة الـــى نفسه: جهاد لتطبيق الاسلام على اسرته، على مجتمعه.

و يتسع هذا الجهاد و الطموح، ليكون جهاده على مستوى ارقى: و هـــو جهاد لتحقيق حكم الله في الأرض، جهاد لتطبيق الأحكام في الارض، جهاد ليكـون الإسلام هو الحاكم و هو المسيطر و هو المهيمن، جهاد لتحقيق دولـــة إســـلامية، تأخذ هذه الدولة على عاتقها تطبيق الأحكام: كالضمـــان الاجتمـــاعي و الاقتصـــاد الإسلامي، و الحدود و المساواة و... و تأخذ على عاتقها نشر الأفكار الإســـلامية و إيصالها إلى العالم، بعد ان كان نطاقه محدوداً في ضمن اطار ضيـــق لا يمكنـــه الاتساع.

و هذا الجهاد، قد يكلف ضحايا و شهداء في الساحة. و هذه الدمـــاء قـــد تكون في بعض الأحيان ضرورية، فيما اذا كانت الأمة تمر بحالة مـــن الركـود و الخنوع و الجمود.

فأنه لا يحركها الجهاد، و لا توقظها الصيحات، و أنما المحرك لها الدماء! الموقظ لها الشهادة!

فاذا قدم بعض أفراد الأمة نفسه لله، و باعها لخالقها و أسال دمـــــه فـــي سبيله، و في سبيل الحق الذي تتمسك به الأمة، عند ذاك تتحرك الأمة بعد سكون، و تستيقظ بعد سُبات و خمول.

و من الواضح ان التضحيات التي قدمتها الامة على مر التـــاريخ، ظلـت مناراً و مشعلاً لها.

أصبحت هذه الدماء الطاهرة مداداً للامة في سيرها وجهادها.

تحوّلت هذه الدماء الى محرك للامة ودافع لها...

ولهذا كانت ثورة الحسين (ع) وأستشهاده وأهل بيتـــه وأصحابـــه بـــهذا الشكل المروع، كانت مشعلاً ونوراً، أضاءت للامة الطريق وكسر طـــوق الجمـــود والخنوع عند الامة، فكانت مشعلاً للثورات ضد الظلم والفســـــاد... ضـــد الجـــهل والطغيان...

ولازالت تعطي هذه الثورة الأم للامة، مداداً وزخماً لا ينضب.

يتبين أن جهاد الامة بأقسامه الثلاثة، يجعل الامة أمة واعيـــة متصـــاعدة متنامية، تسير سيرها التصاعدي مهما كانت الظروف ومهما تصدى لها الباطل.

وحينئذ، تكون الامة قد عجّلت بالظروف الموضوعية المرتبطـــة بظـــهور الامام القائد (ع).

اذن تحقيق الارتباط بالقيادة الاسلامية والجهاد والعطاء المتواصل، يعطـــي للامة قفزة نوعية، نحو ايجاد الظروف الموضوعية لظهور الامام القائد (ع).

الامّة وقائدها المنتظر

" من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية "[1].

بهذا الحديث عن رسول الله (ص) حدد ارتباط الامة بالقـــائد المنتظـــر... اشار الى وجود ارتباط بين الامة والامام في كل زمان وهذا الارتباط لابد ان يكـون وثيقاً، ارتباطاً في العقيدة، ارتباط توجيه، ارتباط التزام، لا مجرّد التعرف على اسم الامام فقط، او انه ابن فلان.

بل أعمق من هذا، والاّ لماذا بينت الرواية، انه من لم يعرف الامام تكـــون ميتته ميتة جاهلية؟!

اذن ، هناك ارتباط خاص وعميق بحيث اذا زال هذا الارتبـــاط و انعـدم، تكون ميتة هذا الانسان ميتة جاهلية.

فالذي يعيش في زمن الامام الصادق (ع) اذا علم اسمه وانه هـــو الامـــام في زمانه، فهل هذا يكفي لأن تكون ميتته ميتة اسلامية لا جاهلية؟!

او انه يحتاج الى الالتزام بتوجيهات الامام وتعاليمه، الى التعـــاطف مـــع الامام والجهاد معه والدفاع عنه...

انه يحتاج الى العمل بما يحبّ الإمام والتحلي بأخلاقه...

عند ذاك، تكون حياة هذا الانسان ومماته، اسلامية لا جاهلية.

والامة في عصر الغيبة إمامها الامام الثاني عشر، وهـــو الامـــام الحجـــة المنتظر (ع).

فقد: " روي عن الإمام العسكري (ع) انه قال: أبني محمـــد هـــو الامـــام والحجة بعدي، من مات ولم يعرفه، مات ميتة جاهلية "[2].

لكي تعيش الأمة حياة إسلامية، وتموت ميتة إسلامية لا جاهلية، عليـــها معرفة إمامها المنتظر. ومعرفته تحتاج الى الالتزام بطاعته.

---

١) في انتظار الامام: عبد الهادي الفضلي، ص٥١

٢) في انتظار الامام: عبد الهادي الفضلي، ص٢٢.

ولكن لما كان الإمام مغيَّب لا يمكن الوصول إليه فعلاً، لابد من معرفة وكلائه في غيبته، وهم القادة المجتهدون الواعون، لان طاعتهم طاعة الامام والالتزام بتوجيهاتهم، ألتزام بتوجيهات الامام، والارتباط بهم الارتباط بالامام.

الانتظار

على الامة ان تعيش وتموت اسلامية لا جاهلية، ان تكون منتظرة لإمامها القائد، متطلعة الى ظهوره، مستعدة للجهاد بين يديه:

" اللهم اجعلنا في حزبه.. القوّامين بأمره.. الصابرين معه " والروايات كثيرةَ في انتظار الإمام، بل إن بعضها تقول انه من افضل العبادات، وبعضها تعطي ثواب المنتظر ثواباً عظيماً:

" القائل منكم: إن أدركت القائم من آل محمّدٍ نصرته، كالمقارع معه بسيفه

إذن أحد دعائم الارتباط مع الامام القائم، هو الانتظار والتطلع اليه.

ولا يتوّهم ان الروايات الواردة في انتظار الفرج والامام، تفيد الجلوس في البيوت والتقاعس عن الجهاد والعمل، وترك القضية الى الله تعالى والامام (ع)!

بل معناه ان الإنسان يعمل ويجاهد ويسعى، ولكن هذا العمل والجهاد والسعي لا يكون منفصلاً عن قضية الامام الكبرى، ان يعمل الانسان المؤمن لله تعالى ويجاهد اعداء الله ويسعى لتحقيق حكم الله ولكن كل هذا تحت الهدف الكبير، تحت الغاية المرجوة: هو حكم الله في كل الارض بقيادة الامام القائم، والتطلع الى ذلك اليوم والعمل على الاستعداد له، وهو الانتظار.

وهناك بعض الروايات،تجمع بين الانتظار والعمل والجهاد في سبيل الله،

فقد: " روي عن الإمام علي بن الحسين (ع) انه قال: يا أبا خالد ان أهل زمان غيبته القائلون بإمامته المنتظرون لظهروه أفضل أهل كل زمان... أولئك المخلصون حقاً وشيعتنا صدقاً والدّعاة الى دين الله سراً وجهراً " [٣].

---

٣) جلاء العيون: عبد الله شبر، ج٣، ص١٦٣.

اذن المنتظرون لظهوره، هم الدعاة الى دين الله سراً وجهراً، ولا يوجـــد أي فصل بين الانتظار والجهاد والعمل، وانما هما شيئان متلازمان.

وتحتاج الامة لكي تعيش وتموت اسلامية لا جاهلية،

عليها التعاطف مع الامام والتفاعل معه،

عليها ان تستشعر بأنه موجود بينها يتحسس آلامها، ويبارك لها جـهودها وما تقدم من تضحيات في سبيل دينها،

عليها ان تستشعر انه يرعى مسيرتها وخطواتها، نحـــو الوصـــول الـــى أهدافها،

وأن تستشعر ان امامها ينتظر عطاءها وجهودها وأستعدادها، لكي يخـرج ويطهّر الارض من الفساد والظلم ويحقق العدل الشامل،

عليها ان تدعوا له بالظهور والفرج والنصر:

" اللهم صل على محمد وآل محمد وأنجز لوليك ما وعدتـــــه... اللهم أظهر كلمته وأعل دعوته وأنصره على عدوه وعـــــدوك يـــا ربّ العالمين " .

وعليها أن تجدّد له البيعة باعتباره أمامها وقائدها المعصوم:

" اللهم أني أجدد له في هذا اليوم وفي كل يـــوم عـــهداً وعقـــداً وبيعة في رقبتي".

وأن تدعو الله تعالى ليجعلها من أنصاره وأعوانه المجاهدين بيـــن يديـــه، ليكون تطلعها تطلعاً عملياً وواقعياً:

" اللهم أجعلني من أنصاره وأشياعه والذابين عنه... اجعلنـــــي من المستشهدين بين يديه... " .

الى غير ذلك من الأدعية والأحاديث التي تجعل مـــــن المؤمـــن والامـــة، وجوداً متفاعلاً مع الإمام.... متعاطفاً معه... منطلقاً اليه.

دولة الإمام المرتقبة

ان دولة الامام القائد، هي دولة الاسلام، وتختلف عـــن الـــدول الأخـــرى اختلافاً جوهرياً،

فأن قوانينها قوانين ربانية، قوانين الهية، بينما قوانين الـــــدول الاخـــرى وضعية من صنع الانسان ووضعه، من تصوراته المحدودة وأدراكه الضيق.

فيها تتحقق السعادة المنشودة للبشرية والتي تسعى نحو تحقيقها.

فيها يتحقق العدل الكامل، العدل في قوانين الاسلام، والنابعة من عدل الله: ﴿ إنَّ اللهَ لا يَظلِمُ مِثقالَ ذَرَّة ﴾ [1].

لا اعتداءات فيها " الناس يعيشون في امان وهناء " لا قلق فيها، لتغلغـــل الايمان في قلوب الامة.

وينبزغ فجر هذه الدولة، عند تحقق الظروف الموضوعية لظهور الامـــام. فهي تظهر عند ظهور الامام...

تظهر عند وجود امة مستعدة للتضحية مع الامام، امـــة علـــى مســـتوى المسؤولية...

تظهر عند انتشار الكفر والفساد...

تظهر عند يأس البشرية من الانظمة الوضعية...

تظهر عند تطلع البشرية الى السماء لانقاذها من حالتها المزرية...

ظهور الإمام

ان الاسلام عندما جاء على يد النبي (ص) وانتشر في الجزيرة العربيـــة، لم يكن هذا الانتشار بأمداد السَّماء فقط.

صحيح السماء امدّت النبي (ص) بالمعجزة، ولكن فيما يخص اثبات نبوّتـه او انه رسول الله، او للحفاظ على حياته قبل اكمال دوره.

---

١) سورة النساء، الآية: ٤٠.

نعم، السماء امدت النبي (ص) والاسلام في البقاء والانتشار، ولكن حينما كان المسلمون انفسهم قد استعدّوا للجهاد في سبيل الله، من اجل تثبيت الاسلام وانتشاره، وبذلوا ما بوسعهم في سبيل الله:

﴿ إِن تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ ﴾[2].

اما، لو تخلى المسلمون عن الجهاد والتضحيات، لما انتصر الاسلام... لما امدتهم السماء بالنصر .

هذه معركة بدر: أستعد المسلمون فيها للجهاد والتضحية رغم قلة عددهم وعُدتهم وكثرة العدو عدداً وعدة، حينما رأى الله عزم المسلمين، وتصميمهم على الجهاد حتى النصر، أمدّهم بالملائكة. بينما في معركة احد حينما أنهزم المسلمون، ماذا كان موقف السماء؟ هل أمدتهم؟

كلا!

لان المسلمين لم يلتزموا بتوجيهات الرسول القائد، والتي هي بمثابة الظروف الموضوعية للنصر، أي ان المسلمين لم يجاهدوا لتحقيق الظروف الموضوعية للنصر، لأنهم تركوا مواقع استراتيجية وراء الغنائم: فالله تعالى لم يمدهم بالملائكة بالنصر حتى مع وجود النبي (ص) بينهم، و تعرض النبي الى الاذى من المشركين، و تعرض للقتل لولا جهاد علي (ع).

اذن، السماء لا تمد بالنصر، الاّ اذا استفرغ المسلمون جهودهم لتحقيق النصر، و ناضلوا جاهدين لتحقيقه.

و هذا قانون يجري في الأمة، و في كل عصر:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الذينَ منْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْساءُ و الضَّرَّاءُ وَ زُلْزِلُوا حَتَى يَقُولَ الرَّسولُ وَ الذينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ، أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَريبٌ ﴾[3].

---

٢) سورة محمد ، الاية: ٧.
٣) سورة البقرة، الاية: ٢١٤.

وينطبق هذا القانون، على جهاد الإمام القائد مع الاعداء، لتحقيق حكم الله في الأرض، فأن السماء لا تمدّ الإمام القائد بالملائكة او بالنصر، الاّ اذا كان للإمام أصحاب يجاهدون بين يديه، يبذلون أنفسهم في سبيل تحقيق النصـــر ، عنـــد ذاك تتدخل السماء وتعطي النصر .

كذلك ظهور الامام القائد، أي الامام لا يظـــهر، الاّ اذا تـــهيأت الظـــروف الموضوعية لظهوره ، وهي وجود ارضية لتقبل الاسلام، ووجود جماعة مؤمنـــة أيماناً عميقاً على مستوى المسؤولية. والظروف الموضوعيـــة لا تتحقـــق الاّ اذا جاهد المسلمون في سبيل الله وأعدّوا أنفسهم، إعداداً حقيقياً للتضحية والجهاد.

وهذا لا يتحقق بالجلوس والقعود في البيوت!

أي ان الظروف الموضوعية، لا تتهيأ ولا تتحقق، الاّ بالســـعي لتحقيقـــها بالجهاد المتواصل... بالعمل الدؤوب... بالتضحية الغالية.

واذا فرضنا ان الامام القائد عندما يظهر يكـــون معـــززا بالملائكـــة، ولا يحتاج الى هذا الجهاد، بل يكفي في انتصاره الجلوس في البيوت...

اذا كان هذا... اذن لماذا غاب الامام هذه المدة؟!

لماذا جعل الامة في حيرة عند غيابه؟!

لماذا الفتن والابتلاء في عصر الغيبة؟!

بل لما احتجنا الى غيبة صغرى، وكانت السماء قادرة على امداده ونصـــوه على الاعداء بالمعجزة في ذلك الوقت؟!

ان الإسلام في سيره... في انتشار حكمه... كل هذا تتحكم فيـــه قوانيـــن الحياة، سواء كانت اجتماعية، او تاريخية، او...

ومنها ظهور الإمام القائد ايضاً، تتحكم في ظهوره قوانين الحياة، فظهوره يكون وفقاً لظروفه الموضوعية، بمعنى: متى ما تحققت هذه الظروف الموضوعية يظهر الامام القائد، الاّ ان تكون هناك مصلحة غيبية... فقد يتأخر ظهوره.

الكفر المقنع والسافر

يستفاد من كثير من الروايات ان الفساد ينتشر، والظلم يتفشى، والحرمات تنتهك، والموازين تتبدل وتقلب: فيكون المنكر معروفاً والمعروف منكرا.

كل ذلك يحصل قبل ظهور الامام (ع).

وتوجد مجموعتان من الروايات:

الاولى تدل على ظهور الدجال.

والثانية تدل على ظهور السفياني، قبل ظهور الامام.

ويمكن ان نستفيد منها، بغض النظر عن مضامينها المختلفة، فالمجموعة الاولى، تدل على انتشار الكفر المقنع الذي يرمز اليه بالدجال وهو الدجل والنفاق. والثانية، ترمز الى الكفر السافر: الكفر الغير المقنع العلني، ويرمز اليه بالسفياني.

هذا هو القدر المتيقن من الروايات، هو ظهور الدجال والسفياني، واما التفاصيل فتحتاج الى إثبات.

حينئذ نقول: يمكن ان ترمز الروايات الدالة على ظهور السفياني، الى ظهور الكفر السافر وانتشاره:

الافكار الالحادية التي تكشف عن هوية الحادية صراحة...

الدعوات الالحادية التي تدعو الى الالحاد صراحة...

القوانين التي تشرع و تحارب الاسلام علنا من دون غطاء تطالب بالقضاء على المسلمين و الاسلام...

الدعوة الى الاباحية... الى الاستهتار... الى تعرية المرأة و جعلها لعبة بيد الرجل علنا...

طرح القرآن الكريم جانباً و الادعاء بأنه قد أكل الدهر عليه و شرب، و الرجوع اليه رجوع الوراء و التمسك به تمسك بالرجعية...

كل هذا كفر سافر كشّر عن انيابه و كشف عن هويته.

أما الروايات الواردة في ظهور الدجال، و هي التي يمكن ان يستفاد منـــها على ظهور الدجل و النفاق و أنتشاره ايضا: فهي ترمز الـــى أنتشـــار النفـــاق... انتشار الكفر المقنع:

الاسلام يحارب و لكن بأسم الاسلام!؟...

المؤمنون يحاربون و يقتلون، و لكن بعناوين اخرى فتلصق التَهم بهم...

الفساد ينتشر، و لكن تحت عناوين براقة... تحت ستار مـــن الشـــعارات البراقة الكاذبة...

الناس يظلمون و يحاربون، و لكن بعناوين اخرى براقة و بأسم العدالة...

الكافر هو المقرب و المحترم لا بعنوان الكفر، و انما بلباس اخـــر يظفـــي اليه الشرعية...

و هذا كفر مقنع مستتر، كفر مبطن.

و عند ظهور الامام المنتظر، يقضي على الكفر المقنع و السافر، فيكـــون قضاءً على السفياني و الدجال.

الزخم و الانـهزام النفسي

أشارات كثيرة من الروايات، الى حدوث حدث قبل ظـــهور الامـــام القـــائد بأشهر، و هو الصيحة في السماء. هذه الصيحة في السّماء، بغض النظـــر عـــن مضمونها، فأن لها مردودان: أحدهما ايجابي و الاخر سلبي.

فالمردود الايجابي، هو أعطاء زخم نفسي نحو النصر للمؤمن... لأصحاب الامام المجاهدين، بقرب ظهور القائد أمل الامة... حكم الاسلام على كل الارض...

أعطائهم شعورا بأن السماء تنظر الى استعدادهم و الى جهادهم، لتحقيـــق الظروف الموضوعية. الى ان الله تعالى معهم. و هـــذا يعطـــي للمجـــاهدين قـــوة ايمانية و نفسية أقوى من كل التحديات... أقوى من كل الطغاة... أقوى مـــن كـــل الصعوبات...

و المردود السلبي، هو أعطاء الانهزام النفسي للاعداء و أرباكهم و تحطيم معنوياتهم الروحية و النفسية، قبل ظهور الامام ... قبل المعركة الفاصلة... بحيث يسهل على الايمان بجولة خاطفه، و دحر الظلم و أعوانه.

و أن المردود النفسي الايجابي و السلبي لكلا الطرفين يستمر حتى ظهور الامام القائد...

و حتى بدأ عمليته الجهادية التغييرية...

و يستمر هذا حتى يتم النصر الكامل...

ومن المظنون ان الروايات التي تقول الى ان الامام " منصور بالرعب " تشير الى هذا المعنى... تشير الى استمرار الزخم والدفع النفسي عند المؤمنين... والانهزام النفسي عند المشركين... أعداء الامام.

أصحاب الإمام

ان النبي (ص) عندما بدأ بتشكيل دولته في المدينة، أعتمد على قاعدة صلبة... على جماعة آمنوا به انه رسول الله والقائد المطاع، عن وعي وأدراك... هؤلاء الذين رباهم النبي (ص) تربية قرآنية، والتي صقلتهم الظروف الصعبة في مكة، وعمّق ايمانهم جهادهم المرير.

فالرسول الاعظم (ص) كان يعتمد على هؤلاء النفر من اصحابه لعمق ايمانهم وصلابتهم في دولته الصغيرة... في تلك الحياة البسيطة البعيدة عن التعقيد... بعيدة عن الحضارة.

ولما أتسعت الدولة الاسلامية، أحتاجت القيادة لبسط نفوذها الى قاعدة أوسع وأعمق، وكلما تتسع الدولة تحتاج القيادة الى قاعدة أشمل وأعمق... وهذا من بديهيات الحياة.

هذا بنفسه ينطبق على اصحاب الامام القائد،

فالامام القائد مدّخر لعملية كبرى، وهي تحرير العالم من الظلم والفســـاد، لتحقيق العدالة والسعادة بأقامة حكم الله في الارض... كل الارض، وهذه العمليـــة، عملية تغيير جذرية تقلب فيها الموازين، وتتحطم فيها كل الكيانات الزائفة، ويـزاح كل الطواغيت.

في هذه العملية يتغلغل الاسلام الى كل بقعة من بقاع العالم، فعلى منطـــق الحياة ومنطق قوانينها، لابد ان تكون هناك جماعة او امة مؤمنة بالامـــام القـــائد ايماناً عميقاً لا تزعزعه الجبال... لا تثنيه قوة وسطوة باطل.

هذه الامة، على منطق الحياة، ان يكون ايمانها أعمق من ايمـــان الامـــم السابقة، بل اعمق من ايمان اصحاب رسول الله (ص) بشكل عام.

الإيمان الذي يكوّن القاعدة الصلبة عند المسلم وعند الامة يشـــتمل علـــى دعامتين اساسيتين: العلم والعمل.

وهذا يتبين من خلال الروايات الواردة في علامات الايمان وغيرها، والتي بعضها يذكر " ان الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل " والبعض الآخر يذكـر " ان الإيمان هو العمل بما أمر الله عزّ وجلّ " والبعض تذكـــر مواصفـــات الإيمـــان فتذكر منه " التقوى، العلم، الجهاد، الصبر... " [٤].

اذن فالايمان يتناسب تناسباً طردياً مع العلـــم ومـــع الفكـــر الاســـلامي و مفاهيمه، فكلّما أخذ الانسان المؤمن من العلم، أزداد أيمانه، وكلما أحاط بالاســـلام ترسخ ايمانه وثبت... وهكذا:

﴿ إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَماء ﴾[٥].

ولا يتصور ان يكون الانسان المسلم جاهلا، وله أيمـــان عميـــق كأيمـــان سلمان الفارسي مثلا.

---

٤) راجع الكافي، ج٢، ص٣٣-٩٨.
٥) سورة الفاطر، الآية: ٢٨

والمراد بالعلم ليس هو حفظ الآيات والروايات والاحكام الشرعية حسب. وانما هو فهم الايات والتفاعل معها تفاعلاً نفسياً وكذلك مع الروايات والاحكام، وكلما كان الفهم صحيحاً و واعياً و مسؤولاً، كان هو العلم المتفاعل مع الايمان.

وكذلك العمل هو الأساس الثاني للايمان، فالعلم وحده من دون عمل وتجسيد لا يحقق الأيمان " العلم يهتف بالعمل فأن أجابه والاّ أرتحل " .

فالعمل اذا لم يستند الى علم يكون خاوياً وبعيداً عن تحقيق اهدافه، بعيداً عن الصواب، بل قد يؤدي الى عكس المطلوب والمراد،

فقد روي في هذا الصدد عن امير المؤمنين (ع) انه قال:

" قصم ظهري أثنان عالم متهتك وجاهل متنسك ".

اذن، كلما كان الانسان المسلم العامل متفهماً للافكار الاسلامية و أحكامها وفلسفتها، كان أيمانه أعمق وأصلب.

و اذن، كلما ازداد علم المؤمن و كثر علمه، تعمّق ايمانه و ثبت.

و المسلمون الذين عاصروا صدر الاسلام و ما بعده من العصور، لم يكونوا متفهمين لكثير من الافكار الاسلامية، الاّ قليل منهم، مثل ما تفهم المسلمون في عصور النهضة الفكرية.

فكل جيل من أجيال الامة الاسلامية، عندما يتسلم الحصيلة الفقهية من الجيل السابق، و يتفاعل معها و يعمل بها، ثم يضيف لهذا الحصيلة فكراً وتجاربـاً، يكون ايمانه اعمق و أرسخ من ايمان الجيل الذي سبقه... وهكذا. فاذا جاء دور الجيل المعاصر للامام القائد يكون هذا الجيل عميقاً في ايمانه وراسخاً في عقيدته ومتمسكاً بدينه.

وهذا التصاعد الإيماني للأجيال، أشارت إليه بعض الروايات[٦]، فانها تشير الى ان الجيل الذي يعيش الغيبة الكبرى والمؤمن بها والمجاهد المنتظر لأمامه..

---

٦) راجع منتخب الاثر: لطف الله الصافي، ص٤٨٣-٤٨٦.
٧) اكمال الدين، للصدوق، ص٢٨٢.

هذا الجيل، يكون ايمانه اعمق من الذين عاصروا الائمة (ع) وعقولهم اكثر تفتحاً ونموّاً من الذين عاصروا أهل البيت، فقد جاء عن الرسول القائد (ص) انه قال:

" يا علي وأعلم ان أعجب الناس ايماناً وأعظمهم يقيناً قوم يكونون في آخر الزمان لم يلحقوا النبي (ص) وحجبتهم الحجة فآمنوا بسواد على بياض"[٧].

وتصف بعض الروايات اصحاب الامام القائم، بأن قوتهم تعادل قوة اربعين رجلاً وقلوبهم أشد من زبر الحديد لو مرّوا بالجبال الحديد لتدكدكت... لا يكفّون سيوفهم حتى يرضى الله عزّ وجلّ [٨].

اذن، فأيمان أصحاب الامام القائد، يكون ايماناً عميقاً وراسخاً ينسجم مع المهمات الملقات على عاتقهم، ومع المسؤولية المتعلقة بهم، وهي مجابهة البطل والانحراف والطواغيت في كل الارض، وأرساء قواعد الدولة الاسلامية الكبرى.

والروايات قد تعرضت الى اصحاب الامام القائد فذكرت ان الامام – عليه السّلام – عندما يظهر في مكة يلتحق به (٣١٣) رجلاً[٩]..

وعندما يبدأ الزحف، لتحرير الارض، يكون عدد أصحابه وجيشه عشرة آلاف مجاهد[١٠].

ويظهر ان الثلثمائة وثلاثة عشر، هم الصفوة الايمانية التي يعتمد عليها الامام في قيادة الجيش للزحف الى ارجاء العالم، لتحريره من عبودية الانسان و عبودية المادة وعبودية الشهوات الى عبودية الله تعالى التي هي حريّة الانسان و رفض كل العبوديات الاخرى.

---

٧) اكمال الدين، للصدوق، ص٢٨٢.
٨) نفس المصدر ص٦٣١.
٩) منتخب الاثر: لطف الله الصافي، ص٤٧٥.
١٠) اكمال الدين ص٦١٣، ومنتخب الاثر ص٢٨٦.

وان من هؤلاء الصفوة – كما يمكن استشفافه مـــن مجمـــوع الروايـــات الواردة في هذا المجال – أنهم الحكام على مناطق العـــالم بعـــد انـــهاء العمليـــة التحريرية التي يقوم بها الامام القائد.

الخطوط العامة للدولة

دولة الامام المهدي (ع)، دولة الإسلام، تختلف عن الدول التـــي ســـبقتها اختلافا كلياً: فهي تختلف معها بالجوهر وبالشكل والمضمون.

ان دولة الإمام القائد، حصيلة لجهاد البشرية، عبر عصـــور التـــاريخ... حصيلة لجهاد الأنبياء والرسل طوال المسيرة البشرية... حصيلة لجـــهاد الأئمـــة المعصومين (ع)، حصيلة لجهاد العلماء العاملين، حصيلة لجهاد الأمة الإســـلامية أيماناً منها بقضية الإسلام.

فنتيجة لهذه الحصيلة الضخمة تكون النتيجة منسجمة مـــع هـــذا الجـــهاد المرير والطويل للامة، هي دولة ليس لها حدود، تشمل كـــل الارض وليـــس لـــها أبعاد، بل هي ممتدة الى كل بقعة من بقاع العالم الى كل مدينة وقرية، الـــى كـــل وادي وجبل،... ولا تفصلها الفواصل الجغرافيـــة، ولا الفواصـــل المصطنعـــة، ولا الفواصل العنصرية، ولا الفواصل القومية.

ولا نريد ان نتعرض هنا لنوع الحكم وكيفيته وتفاصيله، وانما ذلك متروك في محله. وانما نقول ان الإمام القائد يحكـــم بحكـــم رســـول الله (ص) والقـــرآن دستوره، فهو حكم الله، حكم الإسلام، حكم القرآن...

ويظهر من بعض الروايات ان الشعوب كلها تدخل في ديـــن الله تعـــالى، ويكون الشعب في دولة الاسلام، شعباً مسلماً مؤمناً... ولا يبقى فيـــه أحـــد يعبـــد الطواغيت [11].

---

١١) منتخب الاثر: لطف الله الصافي، من الصفحات ٤٣٦، ٤٧١، ٤٧٩.

فيكون المجتمع البشري، مجتمعاً اسلامياً يستند على قواعـــد الاســـلام و أحكامه، عند ذاك تتحقق العبودية الكاملة لله تعالى، حيث تلتقي عبوديـــة الكـــون بسيره وفق قوانينه التي جعلها الله له مع عبودية الانسان بألتزامه بأحكام الله جلّ وعلا.

فأن الكون سائر على قوانين ثابتة، فالكواكب تسير وفق قوانين الجاذبيـــة والحركة و... ولا تحيد قيد شعرة.

والنبات ينمو وفق قوانين معينة وثابتة، ولا يحيد عنها، والحيوان ينمـــو وفق قوانين خاصة به، فلا يحيد عنها...

كل شئ في الحياة، موجود ويتحرك وفق قوانين ثابتة ولا يخرج عن هـذه القوانين، التي جعلها الله تعالى.

اذن، فالكون والحيوان والنبات والجماد، سائر وفق مـــا أراد الله: وهـــذه هي العبودية.

والانسان في دولة الامام القائد، يكون مسلماً مؤمناً ملتزماً بالاســـلام، لا يخرج عن قوانين الله فلا يسرق... لا يعتدي... لا يظلم، لا...

اذن فهو عابد لله، وهي عبودية الإنسان لله...

فتتوافق العبوديتان ونتيجة لهذا التوافق فـــي العبوديـــة، تخـــرج الارض خيراتها وتنزل السماء بركاتها، كما جاء في بعض الروايات[١٢].

اذن، فالوضع الاقتصادي يكون مزدهراً جداً، لتدخل السماء فيه:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آمنُوا وأتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكات مِـــنَ السَّـــمَاء وَالأرضِ ﴾[١٣].

---

١٢) منتخب الاثر: لطف الله الصافي، ص١٨٣-٢٢٠.
١٣) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

وأما وضع الأمة وحالتها في تلك الدولة: فأن بعض الروايـــات صـوّرت تصويراً يكشف عن حالة الأمن والسلام التي تعيشـــها الامـــة، فأشـــارت الـــى ان العجوز الضعيفة تخرج من المشرق وتريد المغرب لا يؤذيها أحد ولا يتعرض لـــها أحد[١٤].

تصوير رائع لحالة الامن والسلام، التي تعيشها الامة: العجوز الضعيفـــة تقطع المسافات البعيدة وحدها لا تخشى الاعتداء، ولا القتـــل ولا الســـرقة، ليـــس لانها جريئة، وانما لأن الناس يعيشون في سلام وتوادّ وتراحم.

بل روايات اخرى بالغت في التصوير، فقالت: لا تخشى حتـــى الحيوانـــات كالمفترسة، فتكون أليفة تعيش مع الإنسان بسلام وألفة.

عند ذاك يتحقق الحلم الذي تصبوا إليه البشرية: أمان حقيقـــي... عيـــش رغيد... أستقرار نفسي... سعادة واقعية... كل هذا يتحقق في دولة الإمام القـــائد: دولة التوحيد الكبرى.

النجف الأشرف

محمد

الحيـــدري

---

١٤) منتخب الاثر ص٣٠٨.

الفهرست

الإهداء ٥
المدخل ٧
التخطيط الرباني لفكرة الامام المهدي ١١
تخطيط المعصوم للقضية ١٥
تثبيت الفكرة ١٦
الجانب الكمي ١٩
الجانب النوعي ٢٢
١. ربط الفكرة بالايمان ٢٢
٢. ربط الفكرة بتطلعات المسلم وطموحاته ٢٧
شرح الفكرة ٣٤
الغيبة الصغرى ٣٧
الامة قبل الغيبة ٣٩
الوضع السياسي ٤١
الامة حين الغيبة ٤٣
دور السفراء ٤٤
الشدة تجاه الانحراف ٤٦
الغيبة الكبرى ٥١
تهيئة الامة للغيبة الكبرى ٥٣
١. تعيين وكلاء ٥٤
٢. تعيين القيادة ٥٥
٣. روايات الغيبة ٥٧
٤. احتجاب الائمة ٥٨

٥. عوامل مساعدة ٥٩
تحصين الامة في عصر الغيبة ٦١
١. الحكام الغاصبون ٦٤
٢. حرمة التخاصم ٦٦
٣. الاجتهاد ٦٦
٤. الخمس ٦٩
السبب المرحلي للغيبة ٧٠
اطروحة الغيبة ٧١
الاطروحة المقترحة ٧٩
دور الامة في عصر الغيبة ٨١
الارتباط بالقيادة والتفاعل معها ٨٢
الجهاد المتواصل ٨٥
١. جهاد النفس ٨٦
٢. العطاء المتواصل ٨٧
٣. الجهاد التطبيقي ٨٩
الامة وقائدها المنتظر ٩٢
الانتظار ٩٣
دولة الامام المرتقبة ٩٥
ظهور الامام ٩٧
الكفر المقنع والسافر ١٠٠
الزخم والانهزام النفسي ١٠١
اصحاب الامام ١٠٢
الخطوط العامة للدولة ١٠٦

أطروحة الغيبة[1]

ان الله تعالى، أراد ادّخار الإمام القائد، ليحقق على يده أكبر تغيـــير فـــي تاريخ العالم، وهو حكم الله في الأرض، كل الأرض، وأقامة دولة التوحيد الكبرى، ناشرة عدلها على ارجاء المعمورة، وشاملة لكل البشرية دون استثناء. و تطبيـق النظام الاسلامي على ارجاء العالم، معناه تكيف البشرية للاسلام و تفهّمـــها لـــه وتطبيقها له، فأن تطبيق الاسلام، ليس مجرد قوانين تفرض بعيدة عن تصـــورات الناس، وعن سلوكهم ومشاعرهم ومعتقداتهم.

فالأنظمة الوضعية – على اختلافها وبالاخص الرأســمالية منــها – هــي مجموعة من القوانين، تنظم شؤون الحكم ومنهجه. واما ما يتعلق بالفرد وسلوكه و تصوراته، فهي لا تتعرض له، وكذا المجتمع. ولا تخلق أنساناً يرتبط بالقـانون، بسلوكه وتصوراته، بل غرضها تحكيم هذه القوانين بالقسر او اللين، بغض النظـر عن سلوك الانسان وتصوراته ومعتقداته، مادام لا يقف دون تطبيق هذه القوانين. ولهذا يمكن تطبيق هذه القوانين بمجرد تغيير شخص الحاكم! وهذا يدل علـــى ان القوانين الوضعية لا تتغلغل الى اعماق الناس، وهم لا يتعـــاملون معـــها تعـــاملاً ذاتياً.

اما الإسلام، فهو بالإضافة الى انه قوانين تنظم شؤون الحكـــم والدولـــة، فهو ينظم ايضاً سلوك الفرد والامة ومعتقداتهم وتصوراتهم، وفقاً لمنهج شـــامل، من دون فصل قوانين الحكم والدولة، عن سلوك الفرد وتصوراته.

فالإسلام لا يفصل تصورات الانسان عن النظـــام الاســـلامي، ولا يفصـــل سلوكه عن النظام الاسلامي... ولا يفصل عاداته عن النظام... بل حتى عواطفـــه وشعوره الداخلي يوجهه ضمن النظام الاسلامي: " من أحب قوماً حشر معهم " .

---

[1] هذه الأطروحة اشار إليها السيد محمد باقر الصدر في كتابه " بحث حول المهدي " ص٧٣-٨١